الفصل الأول

عرض عام لأحوالهم وأقوالهم

- **المبحث الأول :** الغلو عبر التاريخ
- **المبحث الثاني :** إباحة دماء المخالفين
- **المبحث الثالث :** موقفهم من العلماء والجماعات والدعاة
- **المبحث الرابع :** الحاجات تبيح المحرمات
- **المبحث الخامس :** عبرة لمن يعتبر
- **المبحث السادس :** قيمة ما يصدر عنهم من فتاوى
- **المبحث السابع :** الخروج على أئمة الجور

المقـــدمة

الحمد لله رب العالمين، مالك يوم الدّين، والصلاة والسلام على خير خلقه، وخاتم أنبيائه محمد وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد:

خوارج هذا العصر يشبهون سلفهم خوارج الأمس من وجوه، ويختلفون عنهم من وجوه أخرى. يشبهونهم في تعدّد جماعاتهم، وكثرة خلافاتهم، وفي اعتقادهم بأنهم على حقّ، وغيرهم إما أن يكون جاهلاً ضالاً أو كافرًا. ويختلفون عنهم من وجوه أخرى، فخوارج هذا العصر: أشدّ خطرًا، وأعظم جهلاً، وأكثر تطاولاً على دعاة الأمة وعلمائها، فمن خوارج هذا العصر من هو من وجه جاهل، ومن وجه آخر قاطع طريق، وبين عشية وضحاها يُنصَّب أو تنصّبه جماعته منارًا للهدى وقائدًا تُعتبر طاعتُه طاعةً معصيتُه معصيةً، وما مثال الجماعة المُسلّحة في الجزائر وقائدهم "زيتوني" عنا ببعيد.

أيها المجاهد من أجل أن يكون الدّين كله لله. قال تعالى:

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ النساء: ٦٥.

تذكّر أن العمل الجهادي يجب أن يكون خالصًا لوجه الله وبما شرع الله. وتذكّر أيضًا بأننا يجب أن نعمل ولكن في حدود الاستطاعة، والمطالبة بغير الاستطاعة هلاك وهلاك.

فإياك وإياك أخي المجاهد من الابتداع في دين الله.

محمد سرور زين العابدين

الدوحة

١٤٣٤/٩/١٧هـ

الموافق ٢٠١٣/٤/٢٧م

المبحث الأول

الغلو عبر التاريخ

الغلو: (مجاوزة الحد بأن يزاد في الشيء، في حمده، أو ذمه، على ما يستحق أو نحو ذلك)[١]، وهو عام لا يخلو منه عصر ولا مصر، فمن الناس من يغالي في مسائل الاعتقاد، ومنهم من يغالي في مسائل المعاملات والعادات.

وكل من يجيل الطرف ويدقق النظر بمن يعرفهم ويتعامل معهم، لا بد وأن يجد بينهم من يغالي في حبه إذا أحب، وفي بغضه إذا أبغض. يبالغ في حبه فيكاد لا يرى في الدنيا غير محبوبه، ولهذا فهو ينسب إليه كل فضل ومروءة وكرم، ولا يقبل فيه أي نقد أو تجريح، وإذا رأى منه ما يكره اتَّهم فهمَه، واختلق له الأعذار والتبريرات، ويصدق في هذا النوع من الحب قول الشاعر:

تحمل عظيم الذنب ممن تحبه وإن كنت مظلوماً فقل أنا ظالم

أو قول الشاعر الآخر:

وما الحب إلا طاعة وتجاوز وإن أكثروا أوصافه والمعانيا

وفجأة ومن غير مقدمات ينقلب المحب على من يحبه، ويغالي في الثانية كما غالى في الأولى، وينظر إلى صديق الأمس بعين البغض والكراهية، فلا يرى فيه إلا

---

(١) عن كتاب [اقتضاء الصراط المستقيم] لشيخ الإسلام ابن تيمية.

النقائص والرذائل، ولا يبالي بكشف كل الأسرار التي كان قد خصه بها وائتمنه عليها... وإذا قيل لهذا الغالي: اقتصد في حبك وكرهك، ولا تكن من المسرفين، انتفض غضباً لأنك تريد أن تحول بينه وبين نصحه للناس، والدين النصيحة!.

وإذا كان الغلو في الدين، فترى الغلاة يرفعون راية الأخذ بالعزائم لأن المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف، ويحذرون من الميل إلى الأخذ بالرخص، ولا بأس من ذلك إذا كانت العزائم والرخص من الأمور المشروعة من الدين، ولكن البأس كل البأس هو الجنوح بالعزائم حتى تصل بصاحبها إلى حد الكفر المخرج من الملة وذلك بعد أن يستسهل الابتداع في دين الله.

وهذا الذي فعله اليهود والنصارى عندما غالوا بأنفسهم وأنبيائهم، قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ﴾ [المائدة:١٨]، وقال سبحانه: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[التوبة: ٣٠].

وغالت الرافضة في حب علي وآل بيت رسول الله ﷺ ونسبوا إليه العصمة، وغالى الخوارج في بغض علي وبغض الصحابة الذين شاركوا في حرب صفين والجمل رضي الله عنهم، كما غالوا في قولهم: الإيمان مجموع ما أمر الله به ورسوله، وإذا ذهب بعضه لم يبق مع صاحبه من الإيمان شيءٌ فيخلد في النار، وغالت المرجئة عندما قالت الإيمان هو المعرفة، وأنه لا تضر مع الإيمان

معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة.

خالف هؤلاء المبتدعون ببدعهم التي جاءوا بها يسر الإسلام ووسطيته التي دلت عليها النصوص الشرعية:

قال رسول الله ﷺ: «هلك المتنطعون» قالها ثلاثاً. وقال النووي: (هلك المتنطعون: أي المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم)[(١)].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادته فلما أُخبِروا كأنهم تقالّوها، فقالوا: أين نحن من النبي ﷺ ؟ فقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. فقال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً. فجاء رسول الله ﷺ فقال: إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني[(٢)].

ومما ينبغي التأكيد عليه أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين تجاوز المرء لحدود الله [الغلو] وبين الشيطان ونزغاته، وقد بيّن ابن القيم رحمه الله بأسلوبه الفريد مدى هذا الارتباط فقال:

---

(١) رواه مسلم، كتاب العلم، انظر صحيح مسلم بشرح النووي (١٦/ ٢٢٠).

(٢) رواه البخاري، كتاب النكاح، ومسلم كتاب النكاح.

(فما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما إلى تفريط وإضاعة، وإما إلى إفراط وغلو. ودين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه، كالوادي بين جبلين، والهدى بين ضلالتين، والوسط بين طرفين ذميمين، فكما أن الجافي عن الأمر مضيعٌ له، فالغالي فيه: مضيعٌ له، هذا بتقصيره عن الحد، وهذا بتجاوزه الحد[١].

* * *

شهد الناس في هذا العصر نوعين من الغلو: غلو تقليدي، كغلو الرافضة، وغلو المرجئة وغيرهم، ولن نقف عنده لأنه معروف عند كل من درس وتعلم عقائد ومناهج الفرق الغالية.

وغلو جديد يعتبر سمة مميزة من سمات هذا العصر، وهو الذي صنعه الطغاة في سجونهم المظلمة الموحشة... صنعوه بسياطهم التي تلهب أجساد الدعاة الأبرياء، وبطرق التعذيب الحديثة التي استوردوها من الدول الأجنبية التي ابتكرت وسائل وآلات لم تكن معروفة من قبل... صنعه الطغاة عندما أطلقوا الكلاب الشرسة تنهش من جسد المعذَّب وهو معلق كالذبيحة، عار من كل ثيابه كيوم ولدته أمه.

صدر حكم المحكمة العسكرية العليا عام ١٩٧٦ في قضايا التعذيب التي شهدتها السجون المصرية في مرحلتي: الخمسينيات والستينيات، وننقل فيما يلي

(١) مدارج السالكين، ابن القيم الجوزية (٢/ ٥١٧).

فقرة من حيثيات هذا الحكم لأنه بمثابة شاهدٍ على الوحشية من أهل هذا النظام:

(إن المحكمة لتسجل بحق أن الجريمة موضوع هذه الدعوى [تعذيب] كانت سبة في جبين الحكم المصري، يندى لها خزياً وعاراً، ولعل في حكم المحكمة ما يسدل على حقبة من تاريخ مصر امتهنت فيها وأهينت كرامة الإنسان، الذي كفل الإعلان العالمي لحقوق الإنسان حدها الأدنى، حقبة من تاريخ مصر كانت فيها السيادة للسياط توصلاً للإرهاب وللإلقاء في غياهب السجون أو تقرباً زلفى للحكام والرؤساء، حقبة من تاريخ مصر تضاءلت فيها سمعة سجن الباستيل بفرنسا، وطغت عليها سمعة السجن الحربي بمصر، حقبة من تاريخ مصر أعادت إلى الأذهان ذكرى محاكم التفتيش وما كان يجري فيها من مخاز وفظائع، حقبة من تاريخ مصر تسابق فيها الجلادون إلى ابتكار وسائل التعذيب) اهـ[1].

إن حكم المحكمة العسكرية العليا لم يسدل الستار على هذه الحقبة الدموية من تاريخ مصر، كما جاء في قرار الحكم، فقد عادت الاعتقالات في عام ١٩٧٧، واستمرت في تزايد، فقبل [٦/ ١٠/ ١٩٨١] كان فرعون قد ملأ السجون بزعماء مصر من الإسلاميين على مختلف اتجاهاتهم والعلمانيين المعارضين لسياسته، وشهدت مرحلة الثمانينيات ألواناً فظيعة من التعذيب داخل السجون وخارجها.

كذلك كان الحال في بعض البلدان العربية، فقد تحدث العالم أجمع من

(١) انظر الحكم بغير ما أنزل الله وأهل الغلو، الجزء الأول، المناخ الذي ولدت فيه أفكار الجماعة (١/ ٢٩٧)، ونشرتها في وقت صدورها مختلف وسائل الإعلام المصرية.

خلال وسائل الإعلام عن إبادة المئات داخل السجون، وعن دفن بعضهم وهم أحياء في أخاديد حفرتها الجرافات الضخمة، كما تحدث عن تدمير مدن وأحياء ومخيمات، وأقرب مثال على ذلك: مدينة حماة، وطرابلس الشام، ومخيمات صبرا، وشاتيلا، والكرنتينا، وتل الزعتر، بل وأقرب من ذلك المذابح التي تشهدها الجزائر، فقد زاد عدد القتلى على خمسين ألفاً.

لم تعد الضروريات الخمس في أمان، ولقد أصبح الدين والمال والنسل والنفس والعقل في خطر، وماذا يبقى للإنسان في هذه الحياة إذا كان مهدداً في دينه ونفسه وماله وعرضه وأبنائه، بل وفي عقله، ومن شاء دليلاً على ذلك فليراجع بيانات منظمات حقوق الإنسان، مع أن هذه المنظمات الغربية لا تدين بالإسلام، ولا تمثل وجهة نظر الإسلاميين من قريب أو بعيد.

وتجاوزت المأساة حدود كل دولة لتشمل البلدان العربية كلها التي اختلف فيما بينها على كل شيء، واتفقت على عدم إيواء الدعاة، وتسليم من جاءهم مذعوراً يبحث عن الأمن والاطمئنان إلى سلطات الأمن في بلده، مع أنهم يعلمون أنه سيقتل شر قتلة، وذلك بعد أن ينتزعوا منه ما يشاءون من المعلومات التي تكون سبباً في توريط دعاة آخرين، وكان بوسع الذين سلموا هذا الضحية أن يبقوه في بلدهم ويمنعوه من ممارسة أي نشاط يضر بالدولة التي فرَّ منها، ولكن الظلم حملهم على ارتكاب هذه الفظائع الوحشية.

لم تكن هذه الظاهرة معهودة قبل بضعة عقود، فالمطاردون من قبل أجهزة

الأمن المصرية بتهمة مقتل السادات، وجدوا ملجأ لهم في عدد من البلدان العربية، وكذلك الإخوان المسلمون الذين فرّوا من طغيان عبد الناصر وجدوا وظائف تتناسب مع خبرتهم وشهاداتهم في كل من الجزيرة العربية، والمغرب العربي، وبلاد الشام فضلاً عن قبول لجوئهم.

ومن بقايا ما يحسن أن يذكر عن النخوة والمروءة وإغاثة الملهوف (وهذه من صفات العرب حتى في جاهليتهم) أن الزعيم العراقي رشيد عالي الكيلاني التجأ إلى السعودية عندما هُزم الألمان في الحرب العالمية الثانية، ورفض الملك عبد العزيز تسليمه إلى بريطانيا التي كانت حريصة على معاملته كمجرم حرب، وألحّ الإنكليز في طلبهم، وأصر عبد العزيز على موقفه مهما كانت العاقبة، علماً بأن بريطانيا كانت تحكم مشيخات الخليج وهذا من جهة، ومن جهة ثانية فقد خرجت منتصرة في الحرب، وهذا يعني أنها كانت في أوج قوتها، ومن جهة ثالثة فقد كانت السعودية دولة ضعيفة، وبحاجة إلى مساعدات بريطانيا التي كانت تقدمها لها، ومن جهة رابعة فإن السعودية لم تكن على علاقات وثيقة مع الكيلاني... وأمام إصرار السعودية تفهمت بريطانيا حرجها أمام العرب لو سلمتها الكيلاني، فتراجعت عن موقفها، ووقفت مصر ممثلة بالملك فاروق الموقف نفسه رافضة تسليم الحاج أمين الحسيني -الذي التجأ إليها- للإنكليز.

المبحث الثاني

إباحة دماء المخالفين

من معجزات النبوة أن رسول الله ﷺ أخبر أصحابه عن ظهور فرقة غالية من المسلمين، وبيّن لهم صفات المنتمين إلى هذه الفرقة، وما هو الواجب اتخاذه نحوهم عند ظهورهم، وبعد حوالي ثلاثة عقود من وفاة رسول الله ﷺ شهد المسلمون ظهور هذه الفرقة بالكيفية التي وصفها النبي ﷺ:

عن سُويد بن غَفَلَة قال: قال علي رضي الله عنه: ... وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سيخرج قوم في آخر الزمان، أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البَرِيّة، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميَّة، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة»[(١)].

وفي حديث آخر، قال ﷺ عن هذه الفرقة: «... يقتلون أهل الإسلام، ويدَعون أهل الأوثان، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد»[(٢)].

ومن معاني ومدلولات هذين الحديثين ما يلي:

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود. والرواية للبخاري.

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري ومسلم.

- أحداث الأسنان: أي شباب لم يكبروا حتى يعرفوا الحق[١].

- سفهاء الأحلام: الأحلام: العقول، والسفه: الخفة في العقل والجهل.

- يكثرون من تلاوة القرآن، ويستدلون بآياته في كل قول يقولونه، كما يستدلون بالأحاديث النبوية، ويدّعون أنهم وحدهم حملة المنهج الحق، ويكفرون ويفسقون كبار الأئمة من علماء الأمة، ولا يسلم منهم حتى الصحابة والتابعون.

- يقتلون أهل الإسلام، ويدَعون أهل الأوثان، كذلك كانوا، أما خلفهم من غلاة عصرنا، فيقتلون أهل الإسلام وأهل الأوثان، وربما شغلوا أتباعهم بقتال أهل الإسلام، ومهادنة أهل الأوثان.

- «فأينما لقيتموهم فاقتلوهم»، الخطاب هنا لولي الأمر وقادة الجيوش وقد يجد المسلمون أنفسهم في موقف حرج لا يدرون ماذا يفعلون، فخروجاً من الحيرة والخلاف جاء النص بقتالهم، ومثل هذا قول رسول الله ﷺ: «لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (الفرق الثاني في الخوارج وأهل البدع: أنهم يُكفِّرون بالذنب والسيئات، ويترتب على تكفيرهم بالذنوب استحلال دماء المسلمين وأموالهم، وأن دار الإسلام دار كفر ودارهم هي دار الإيمان، وكذلك يقول جمهور الرافضة، وجمهور المعتزلة والجهمية، وطائفة من غلاة المنتسبة

(١) جامع الأصول في أحاديث الرسول، لابن الأثير، الجزري (١٠/ ٨٢).

إلى أهل الحديث والفقه ومتكلميهم)[١].

وقال أبو قلابة: (ما ابتدع رجل بدعة إلا استحل السيف. وقال السختياني: إن الخوارج اختلفوا في الاسم، واجتمعوا على السيف)[٢].

تعالوا نسقط هذه الأوصاف على الجماعة الإسلامية المسلحة في الجزائر، وهي فرقة من فرق حزب الغلاة:

١ - أصبحت الطرقات العامة غير آمنة بسبب الحواجز التي يقيمونها فجأة ومن غير سابق إنذار، ثم يدققون في هويات الركاب، فهذا يقتلونه لأنه من العسكريين[٣]، وذاك يقتلونه لأنه من الشباب الذين لم ينصاعوا لأوامر كانت قد أصدرتها قيادة هذا الحزب، وربما لم يسمع الضحايا بها، أو ربما ظنوا أن ما يشاع عن هذه الجماعة غير صحيح، وهذا من قبيل حسن ظن المسلم بأخيه المسلم. وأخبرني من يعيش في ظل هذه المحنة أنهم إذا لم يجدوا من يستحق القتل[٤]: تقدموا من الركاب مرة ثانية، وقالوا لهم: أليس بينكم من نتقرب إلى الله بقتله.

---

(١) الفتاوى، ابن تيمية (١٩/ ٧٣).

(٢) الدارمي، باب اتباع السنة (١/ ٤٤- ٤٦).

(٣) يكاد لا يخلو بيت في الجزائر وغيرها من عسكري، وبينهم رجال صالحون لا علاقة لهم بأفكار وتصورات قادة الجيش وقادة قوات الأمن، كما أن بينهم من يعمل كجندي سيق إلى الجيش مرغماً، ونظام التجنيد الإجباري معروف في بلادنا.

(٤) كان ذلك في البداية، وبعد إصدار عدد من الفتاوى الكثيرة، لم يعد عند القوم من لا يستحق القتل.

٢- يفجّرون قنابلهم في الأسواق التي يزدحم بها الناس بحجة قتل دورية من دوريات رجال الأمن، ولا يبالون بالضحايا من الأطفال والنساء والشيوخ لأنهم سيحشرون على نياتهم [هكذا أفتى قادة الحزب، وهكذا فهموا من بعض فتاوى العلماء السابقين].

٣- لم يسلم الدعاة ولا الجماعات من جرائمهم، وإليكم ما كنت قد قلته قبل حوالي عام كامل: (لقد قتلوا أحد المسؤولين في جماعة إسلامية تخالفهم وتنقد أعمالهم، والقتيل رحمه الله من الذين يشهد الناس له بالخير والاستقامة، وقتلوا أيضاً مسؤولين في وزارة الشؤون الدينية، مع أنهم ليسوا من الذين يملكون حق إصدار القرارات في هذه الوزارة، كما قتلوا عدداً من أعضاء الجبهة الإسلامية للإنقاذ)[١].

كانت جرائمهم في أوساط الدعاة قليلة وتحتاج إلى تثبُّت، وكنا نتهم نظام [الجنرالات] عندما يبلغنا نبأ مقتل داعية، لأننا لم نعهد مثل هذا الاستهتار بدماء المؤمنين من قبل[٢]، غير أن بيانات الغلاة كانت تضعنا أمام الحقيقة المرة، وكأن الذين يصدرون هذه البيانات حريصين على تبرئة الطغاة مما ينسب إليهم... وهكذا فقد توالت بيانات الغلاة التي تؤكد ولوغهم في دماء الدعاة.

٤- أصدرت الجماعة المسلحة بياناً بإهدار دم قيادة الإنقاذ في الخارج،

---

(١) قلت ذلك في محاضرة عنوانها [الإرهاب داخل الصف الإسلامي]، ونشرت هذه المحاضرة في مجلة السنة، العدد الصادر في ربيع الثاني ١٤١٦هـ.

(٢) أعني: لم نعهد مثل هذا الاستهتار في العصر الحاضر وفي أي بلد عربي.

وبدؤوا تنفيذ مضمون هذا البيان بقتل عبد القادر صحراوي في فرنسا [وهو عضو في قيادة الخارج].

٥- أصدروا البيان رقم [٤٠] تحت عنوان: [بيان في قتال جيش الإنقاذ]، وكان مما جاء فيه: (ولقد عزمت الجماعة الإسلامية المسلحة على أن تقاتل هذه الطائفة الضالة المضلة، وتعتقد أنه من جنس الجهاد في سبيل الله ونصرة دينه وتطهير منهاجه لأن هؤلاء قد اجتمع فيهم أمران: الدعوة إلى البدع في الدين، وتفريق جماعة المسلمين).

وجاء في البيان أيضاً: (فإن جيش الإنقاذ طائفة مبتدعة بدعة كفرية باتخاذهم الديمقراطية والانتخابات الشركية وسيلة لهم يدعون إليها).

قلت : ما أسموه بدعة كفرية ليس جديداً على جبهة الإنقاذ، فمنذ تأسيسها تحدثت عن المغالبة عن طريق الانتخابات النيابية، وكذلك فإن لقاءات قادة الإنقاذ مع المسؤولين الجزائريين وزعماء الأحزاب لم تبدأ في روما، فلماذا سكت الغلاة طوال هذه المدة، ثم جاءت هذه الفتوى التي تقطر إجراماً في ١٣ شعبان ١٤١٦هـ؟! وهل هناك جهات اخترقت هذه الجماعة ودفعتها إلى هذا المنزلق الخطير [وهذا ما يؤكده كثير من المهتمين بالمسألة الجزائرية]:

ستبدي لك الأيام ما كنت ويأتيك بالأخبار من لم تزود

لقد كان البيان رقم [٤٠] منعطفاً مأساوياً في الساحة الجزائرية، وأصبحت مواقع الجيش الإسلامي للإنقاذ هدفاً لخناجر الغلاة، الذين كانوا لا يدخرون

وسعاً في قتل كل من يستطيعون الوصول إليه من أعضاء هذه الجماعة.

٦- قاد أمير حزب الغلاة الجزائري [زيتوني]، انقلاباً دموياً داخل حزبه، انتهى في إبعاد خصومه [الجماعة الإسلامية - الجزأرة] عن جميع مراكز القيادة بعد أن وقع فيهم مذبحة يعجز خيال الأديب العبقري عن وصف بشاعتها، وانحطاط أخلاق الذين نفّذوها، وتكاد مفردات الكلمات العربية لا تسعفه ليختار منها اللفظ الذي يليق بهؤلاء القتلة الذين لم يعرف العطف سبيلاً إلى قلوبهم.

قال مصدر مسؤول في هذا الحزب في صدد تبريره لعدم نشر هذا الخبر في وقته: (إن أمراء المناطق وعرفاء السرايا لم يكونوا على علم بذلك، وهذا يدخل في باب التورية واستخدام المعاريض التي يجوز للأمير استعمالها سياسة، وقد أتت ثمارها... وهذه الطريقة لمعالجة الأمر كانت راجعة للظروف التي كانوا يعيشونها).

وأنكر هذا المصدر المسؤول الادعاء الذي يردده المرجفون [أي قتل ٤٦ من أفراد تنظيم جماعة السعيد نياماً]، وأضاف قائلاً: (إن هذا من الكذب المحض، ولو فعلنا ذلك لقلناه، وأننا لا نقوم بعمل حتى نعرضه على الكتاب والسنة، ولا نقول إلا ما يرضي المولى عز وجل).

أرأيتم استهتار الغلاة ووقاحتهم؟!.

إن قتل هؤلاء الدعاة عمل يتقربون به إلى الله، فكل فعل من أفعالهم يعرضونه على الكتاب والسنة، ولا شيء عندهم من غير دليل شرعي، ولكي يتصور قارئ هذه السطور هول هذه المجزرة لا بد وأن يعلم أنهم يقتلون خصومهم ذبحاً بالسكين

رغم توفر الأسلحة النارية، وأن عدد هذه الوجبة وحدها ست وأربعون، ونحن نصدقهم في قولهم: إنهم لم يكونوا نياماً، وكيف ينام من يحاكمه مثل هذا الأمير وأعوانه... سبحان الذي خلق البشر، وأودع في بعضهم قلوباً أقسى من الحجارة.

إنني طالما تصورت هؤلاء الضحايا وهم مكتوفو الأيدي، وكُلٌّ يرى كيف يذبح إخوانه، وكُلٌّ يبصر الدماء وهي تتدفق من أجساد هؤلاء الدعاة، وكل ينتظر حتى يصل السفاح إلى عنقه.

ولا أدري ماذا يفعل هؤلاء الغلاة بالمسلمين لو حكموا الجزائر، وكم مصنعاً عملاقاً سيفتحون لصناعة السكاكين والخناجر والسيوف... ومن ذا الذي سوف يسلم منهم؟!.

٧- في بيانهم الذي أسموه: (الصواعق الحارقة في بيان حكم الجزأرة المارقة) الصادر في: ١٥/٨/١٤١٦هـ اعترفوا أن الدكتور عبد الوهاب لعمارة تبرأ من جماعته السابقة [الجماعة الإسلامية - الجزأرة]، وقدم لهم أهم ما زعموه أدلة قد اعتمدوا عليها في الأخاديد التي حفروها لقيادة هذه الجماعة، واعترفوا أيضاً بصحة توبته... رغم ذلك كله فقد ذبحوه!!.

[ولا تنسوا أن الدليل الشرعي دائماً معهم، وعملهم كله صحيح، ولا مجال فيه لأي اجتهاد مخالف]... لكنهم من شدة ورعهم(!!) يعتذرون لأنهم اضطروا خلال التحقيق معه إلى تصويره في شريط [فيديو]، والتصوير حرام، وإليكم ما قالوه بالحرف الواحد:

(... ولقد سجلنا معه شريطاً سمعياً وبصرياً، وإننا نعتقد حرمة التصوير بكل

أنواعه، وعدم جواز استعماله للأدلة الصحيحة المستفيضة في ذلك منها قوله ﷺ: «إن الذين يصنعون هذه الصور يأتون يوم القيامة يقال لهم أحيوا ما خلقتم» متفق عليه عن عبد الله بن عمر، ولقد بيّنا في الشريط الأسباب التي اضطرتنا إلى ذلك، نسأل الله عز وجل أن يتوب علينا ويتجاوز عنا إن أخطأنا في اجتهادنا، إنه هو الغفور الرحيم).

قلت: قتل التائب الذي يترحمون عليه، ويعتبرونه من إخوانهم غير خاضع للاجتهاد، لأنه لا اجتهاد مع النص، أما التصوير فهو المشكلة الكبيرة التي تستحق التوبة والاستغفار إن كانوا قد أخطؤوا في اجتهادهم... وهذا الذي فعله الخوارج من قبل:

قال ابن كثير: (إن الخوارج قد عاثوا في الأرض فساداً، وسفكوا الدماء وقطعوا السبل واستحلوا المحارم، وكان من جملة من قتلوه عبد الله بن خباب صاحب رسول الله ﷺ ، أسروه وامرأته معه وهي حامل فقالوا: من أنت؟! قال: أنا عبد الله ابن خباب صاحب رسول الله ﷺ وإنكم قد روعتموني، فقالوا: لا بأس عليك، حدثنا ما سمعت من أبيك، فقال: سمعت أبي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الساعي» فاقتادوه بيده، فبينما هو يسير معهم إذ لقي بعضهم خنزيراً لبعض أهل الذمة، فضربه بعضهم فشقّ جلده، فقال له آخر: لم فعلت هذا وهو لذمي؟! فذهب إلى ذلك الذمي فاستحله وأرضاه، وبينما هو معهم إذ سقطت ثمرة من نخلة فأخذها أحدهم فألقاها في فمه، فقال له آخر: بغير إذن ولا ثمن؟! فألقاها ذاك من فمه، ومع هذا قدموا عبد الله بن خباب وذبحوه، وجاءوا إلى امرأته، فقالت: إني

امرأة حبلى، ألا تتقون الله، فذبحوها وبقروا بطنها عن ولدها)[١].

إنهم خوارج هذا العصر، وإن تدثروا بدثار السلفية، فالعبرة بالأفعال، وليست بالأسماء.

٨- استمعت إلى محاكمة الدكتور عبد الوهاب لعمارة رحمه الله من خلال مشاهدتي لشريط الفيديو -السمعي والبصري- الذي أشاروا إليه آنفاً، وأول ما لفت نظري أنني رأيت رجلاً تبدو على محياه علامات الصلاح والتقوى -ولا أزكي على الله أحداً-، وكان يتوخى الدقة في كل كلمة يقولها.

الثاني: هذه فيما أظن المرة الأولى التي تحاكم جماعة إسلامية غير مُمكَّنة داعية من الدعاة، ثم تقوم بتوزيع شريط المحاكمة على نطاق واسع غير مبالية بما سيقال عنهم وعن الإسلاميين بشكل عام.

الثالث: كان المتهم يقول ما تريده هذه الجماعة، ومن المفترض أنه قد سبق إعداد هذا الشريط محاولات كثيرة رافقها التعذيب بنوعيه الجسدي والنفسي، وهذا غير مستغرب لأن المتهم كان منهكاً مذعوراً خائفاً، ومن جهة أخرى فإن الذي يقتلون بالسكين لا يتورعون عن التعذيب.

الرابع: لم يظهر القاضي العنيد في الشريط، وكان يسأل ويعلق من خلف الستار، وإذا كان ذلك بسبب الصورة فلا أقل من أن يذكر اسمه.

---

(١) البداية والنهاية، لابن كثير (٧/ ٢٨٨)، وتاريخ الطبري، لابن جرير الطبري (٥/ ٨٢).

الخامس: لم أجد فيما قاله الأخ رحمه الله ما يدعو إلى ضربه باليد أو بالعصا فضلاً عن قتله بالسكين.

السادس: طوال فترة مشاهدتي للشريط كنت وبقية الإخوة الذين رأوا وسمعوا هذا المشهد المحزن نتساءل: في أي مكان من جسده غرزوا سكاكينهم وأسكتوا هذا الصوت الخير؟!.

وماذا كان يضيرهم وهم الذين شهدوا له بالصدق لو أبقوه سجيناً أو كلفوه بمعالجة مرضاهم؟! الويل لهم من مشهد يوم عظيم!!.

قال ﷺ: «لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم»(١).

وعن ابن عمر قال: صعد رسول الله ﷺ المنبر فنادى بصوت رفيع قال: «يا معشر من أسلم بلسانه، ولم يفضِ الإيمان إلى قلبه، لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله».

قال ونظر ابن عمر يوماً إلى البيت أو إلى الكعبة فقال: ما أعظمك وأعظم حرمتك، والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك)(٢).

---

(١) أخرجه النسائي والترمذي، وقال الترمذي: وقد روي موقوفاً عليه، وهو أصح، وهو حديث حسن، جامع الأصول (١٠/ ٢٠٨).

(٢) صحيح الترمذي (٢/ ٢٠٠)، الحديث رقم(٢١٨).

المبحث الثالث

موقفهم من العلماء والدعاة والجماعات

أولاً- موقفهم من العلماء والدعاة والجماعات

لن يعرف القراء موقف حزب الغلاة من العلماء والدعاة والجماعات إلا إذا عرضنا نماذج من أقوالهم فيهم، وقبل عرض هذه النماذج لا بد لي من الاعتذار لأنني مضطر للاستدلال بمقاطع مليئة بالفحش والسفاهة.

أ- موقفهم من العلماء: قالوا عن الازهر، وهو أكبر مؤسسة في العالم الإسلامي لتخريج العلماء والدعاة: (أما الضربة الأخطر من ذلك فهي قانون تطوير الأزهر، وهو القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦٦ الذي دمَّر الأزهر حتى أصبحنا لا نرى من الأزهر إلا هذه الوجوه القبيحة أمثال النمر والشعراوي والغزالي وجاد الحق وغيرهم من الأجيال الحديثة من دكاترة الأزهر والمتفرنجين أمثال الأحمدي أبو النور ومن على شاكلته. وقانون تطوير الأزهر المشؤوم سلب أوقاف الأزهر، وهي مورده المالي، وبالتالي سلبه كل استقلاليته حتى نص القانون في مادته الثانية على أن الأزهر هيئة تابعة لرئاسة الجمهورية)[1].

(١) النشرة رقم (٤) من سلسلة نشرات جماعة الجهاد في مصر.

وقالوا عن شيخ الأزهر السابق جاد الحق علي جاد الحق رحمه الله: (وأما الدجال الأكبر شيخ الجامع الأزهر جاد الحق فقد نال منصبه هذا مكافأة له على فتواه بإهدار دم الإخوة المجاهدين الذين نفذوا حكم الله في أنور السادات، فتم ترقية جاد الحق من منصب المفتي إلى منصب وزير الأوقاف إلى منصب شيخ الأزهر. كل هذا خلال الأشهر الثلاثة الأولى من عام ١٩٨٢، وقد قال القاضي المجرم سمير فاضل إنه اعتمد في قراره بإعدام هؤلاء الإخوة على ما قاله المفتي جاد الحق في حقهم [انظر جريدة الأخبار ٢٥/ ٣/ ١٩٨٢]، فلا ينبغي للمجاهدين أن ينسوا ثأرهم من هؤلاء الزنادقة الذين يستحلون دماء المجاهدين)[١].

وعن الشيخ محمد الغزالي رحمه الله قالوا: (أما محمد الغزالي وما أدراك ما الغزالي؟ فحدث ولا حرج بدأ الغزالي حياته شاباً ثائراً انتهى به الحال كما ترون حذاءً في أقدام الطغاة يلبسونه اليوم في الجزائر وغداً في مصر يتوصلون به إلى مآربهم. وفي كل أحواله لم يفارقه بطر الحق وغمط الناس وهما علامتا الكبر)[٢].

وقالوا عن الشيخ يوسف القرضاوي: (أما يوسف القرضاوي الذي كان يدس أفكاره باستحياء في كتبه مثل حتمية الحل الإسلامي والصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف يحاول أن يهاجم الشباب المسلم المجاهد وينشر روح الاستخذاء والتخاذل على تستر إلى أن دعا داعي الحكومة وصرخ صارخها أن

(١) سلسلة نشرات جماعة الجهاد في مصر.

(٢) المصدر السابق.

أغيثونا وضغط عليهم زكي بدر ضغطة فلم يملك إلا طاعة الأمر)[١].

ويبدو أن مرور الوقت عليهم يزيدهم حدة وتشحناً، فبعد مرور حوالي عقد من الزمن قال قائلهم في وصف الشيخ يوسف القرضاوي: (هذا الكذاب المأفون، فقيه الحركة الإسلامية الأم، شيخ السوء، صاحب العمامة والقفطان أعني الدكتور الأزهري يوسف القرضاوي أما آن للناس أن يعرفوا حقيقته ويكشفوا باطله. هذا شيخ يحتاج إلى مجلدات لكشف خبث طويته، وسوء عقله وعلمه، وهو ممن يستحق أن يعرض بتفصيل ليعلم الناس مقدار شره في إسباغ الشرعية على الباطل والشر) [٢]، ومما أخذه هذا الكاتب على الشيخ القرضاوي تزلفه لأولياء أموره -كما ادعى-، ومن الأمثلة على ذلك موقفه من زيارة رئيس الوزراء الإسرائيلي لقطر.

ومثل هذه الاتهامات والشتائم التي تصل حد الرمي بالزندقة والتكفير يرمون بها جميع العلماء لأنهم علماء للسلاطين، وينسحب هذا المصطلح على جميع من يتولى أعمالاً في وزارات الأوقاف والدعوة والشؤون الإسلامية ابتداء

---

(١) المصدر السابق.

(٢) ورد في نشرة الأنصار التي كانت تصدر في لندن.

ومما يقتضي التنويه أن جماعة الجهاد في مصر غير الجماعة الإسلامية في البلد نفسه، فالجماعة الإسلامية ليس فيها مثل هذا الغلو، وقد قرأت لبعض العاملين فيها ردوداً طيبة على تنطعات الغلاة في عدد من الأمور: منها: قتل النساء، والذرية، ومنها: السرقة التي سموها غنيمة ، ومنها: موقفهم من الجماعات الإسلامية.

بالمفتي وانتهاء بأئمة المساجد وخطبائها، ومن الأمثلة على ذلك أن بعضهم يكفر الشيخ عبد العزيز بن باز مفتي الجزيرة العربية، وبعضهم الآخر يقول: لا أكفره تورعاً، ولكن هذا البعض يرميه بكل ما هو أقل من الكفر.

ومشكلتهم مع هؤلاء العلماء أن الناس يستفتونهم، ويحضرون خطبهم ودروسهم، وعندما تعرض عليهم أقوال وفتاوى حزب الغلاة يدحضونها، ويبينون بطلانها، والناس يستمعون إليهم، وخاصة لأهل الصلاح والورع منهم، ولذلك فإن الغلاة يخوضون في أعراضهم، وينهشون لحومهم، ويحصون أخطاءهم، ويصبح التشنيع عليهم مادة يجترونها في نواديهم ونشراتهم.

قلة من العلماء لا يحبونهم، ولكنهم لا يستطيعون التشهير بهم لأنهم ليسوا من علماء السلطة، وعلى نقيض ذلك فالسلطات تخشاهم وتضطهدهم وتنكل بهم، وإنهم لو تعرضوا لهم بسوء فلسوف ينفض عنهم كثير من أنصارهم الذين يقدرون هؤلاء العلماء ويقرؤون ويسمعون كل ما يصدر عنهم من كتابات وأشرطة، لهذه الأسباب فإن قادة حزب الغلاة يستخدمون التقية مع هؤلاء العلماء، وقد يوهمون أتباعهم بأنهم وهم كيان واحد، ثم ينتظرون الوقت المناسب للانقضاض عليهم ونهش أعراضهم، ولا بد لهم من التدرج في ذلك.

ب- موقفهم من جماعة الإخوان المسلمين: اتهموا مؤسس هذه الجماعة الشيخ حسن البنا رحمه الله بالتلاعب في دين الله، انظر إلى قولهم:

(ومن العبر البليغة أن حسن البنا كان قد عقد المؤتمر الرابع لجماعته من أجل

مبايعة هذا الملك الكافر الذي يحكم بغير ما أنزل الله، وسيَّر البنا عشرين ألفاً من أتباعه في ميدان رمسيس إلى ميدان عابدين يهتفون بحياة الملك، فكان جزاء البنا أن سلط الله عليه هذا الملك فقتله، وهذا جزاء كل من يتلاعب بدين الله، ومن أعان ظالماً سلطه الله عليه)[١].

ونقلوا عن محمد حامد أبو النصر رحمه الله المرشد الرابع لجماعة الإخوان المسلمين: أنه لا يرى مانعاً من وجود حزب شيوعي أو علماني في ظل الحكم الإسلامي لأن هذا ما تقضي به الديمقراطية، ثم قالوا في الرد عليه:

(إن هذا الكلام في شق ودين الإسلام في شق آخر، لأنه إنكار لمعلوم من الدين بالضرورة ألا وهو وجوب إقامة حد الردة على الشيوعي، والعلماني، فكيف يسمح لهم الإسلام بحزب لنشر الإلحاد في دار الإسلام، وإن كلامه هذا هو محض العلمانية، فليتنبه لهذا الشباب المخدوع بالإخوان)[٢]، وبمثل هذه الاتهامات التي تبلغ حد التكفير المخرج من الملة، اتهموا المرشدين الثاني والثالث رحمهما الله، ثم قاموا متوجهين بخطابهم إلى عامة الإخوان المسلمين:

(من كان منكم جاهلاً أو ملبساً عليه، فقد جاءه الحق في هذه النشرة وغيرها من نشراتنا، وظهر له ضلال قادة الإخوان: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ

(١) جماعة الجهاد المصرية: النشرات (٧، ٥، ٤).

(٢) المصدر السابق.

ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وقد قامت الحجة عليه بهذا، ولا عذر له بعد اليوم في عدم مفارقة أهل الزيغ والضلال، والقيام بما أوجبه الله تعالى من جهود الحكام الطواغيت المرتدين) [١].

وفي موضع آخر قالوا معلقين على مفاوضات مزعومة جرت بين الحكومة المصرية والإخوان:

(وترتب على المفاوضات أن تحول الإخوان إلى عملاء للحكومة الكافرة يسبغون الشرعية على حكمها وديمقراطيتها، وينكرون على من ينادي بجهادهم، وتحول الإخوان إلى طابور خامس يمزق جسد الحركة الإسلامية بمصر، ويصيب الحركة بالتخدير والشلل) [٢].

أما محرر [الأنصار] فله أسلوب مميز في الحديث عن المخالفين، فهو هنا يذكر اسماً من أسماء الإخوان المسلمين المشهورة، ثم يقول معرفاً به:

(إخواني كذاب أشر، وهو أجهل من أن يعامل معاملة العقلاء الباحثين، فليس في كتبه ومقالاته سوى صف الحروف بغباء لا يلحقه فيه أحد، وهو معلوم لدى القاصي والداني أنه من الإخوان المسلمين، بل هو إخواني محترق).

ويضيف قائلاً: (وأنا أقول هذا الكلام وأنا أحس بواجب القول والتحذير، إذ أن

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

تحذير المسلمين من قطاع الطرق واللصوص أمر واجب، ومن لم يفهمه فليرجع إلى كتب السلف الصالح وعباراتهم في تقييم الرجال، ولذلك لا يأتيني نصف عاقل ليقول: أهذا هو البحث العلمي؟ أو: أهكذا تعالج الأفكار، فالجواب: البحث العلمي ومعالجة الأفكار يكون لمن ملك شيئاً من العلم، أو لمن عنده شيء من الفكر، وأما أمثال هذا الرقيع...) ثم مضى يذكر ألفاظاً ومصطلحات في شتم هذا الداعية وغيره تجعلنا نترحم على أسلوب جماعة الجهاد المصرية. ثم جاء بعد ذلك من هو أشد وأطغى من محرر الأنصار [أبو قتادة][1].

ج- **موقفهم من الجماعات الأخرى:** هاجمت جماعة الجهاد المصرية الإخوان المسلمين، ثم انتقلت إلى الحديث عن جماعة مصرية سلفية، فقالت:

(... نجد طائفة أخرى لم تقع فيما وقعت فيه الطائفة الأولى، فعصمها الله تعالى من موالاة الطواغيت وتأييدهم، وهذا أمر طيب)، ولكن هل سلمت هذه الطائفة من ألسنة القوم ومن سهامهم رغم إشارتهم لهم بأن الله عصمهم من موالاة الطواغيت وتأييدهم!!، لا، لم يسلموا، ولن يسلموا، وها هو الكاتب النحرير يتحدث بلسان جماعته قائلاً:

(... ولكنهم في نفس الوقت قعدوا عن جهاد هؤلاء الطواغيت، وتذرعوا بذرائع واهية لا تدخل الأذن فضلاً عن العقل، وقد تذرعوا بالعلم والتربية وتركوا الأصل الذي إن ضاع ضاع كل شيء، ألا وهو الجهاد، لأن الطواغيت لو استمروا

(١) مثل الزيتوني والزوابري.

فلن يكون هناك علم ولن يكون هناك تربية، اللهم إلا ثقافتهم وتربيتهم الجاهلية، والتي تجد لها بدلاً من البوق ألفاً في الإذاعة المسموعة والمرئية والجرائد بأنواعها المختلفة)[١].

سبحان الله!! إن هذه الطائفة التي تعرضت لنقد جماعة الجهاد المصرية سلفيةٌ، وليست متهمة عندهم بالانتماء إلى حزب الولاة -وذلك ثابت بشهادتهم لهم- ، ويبدو أنهم كانوا أمام ضغط جماعة الجهاد عليهم مضطرين إلى بيان موقفهم من مسألة قتال الحكام في مصر، ولهذا الموقف أسباب وجيهة، أما كان بوسع جماعة الجهاد -وهي التي ترفع الراية السلفية- البحث عن إمكانية التعاون في المجالين: العلمي والتربوي وغير ذلك من الأمور التي هي موضع اتفاق بين الجماعتين، ثم تؤجل المسائل المختلف عليها إلى مرحلة أخرى؟!، وبدلاً من ذلك، يشتد الكاتب عليهم، فيتهمهم بالمراوغة واللف والدوران، ثم يضيف قائلاً:

(أما إذا قلتم إن الجهاد ليس واجباً في هذا الوقت لأي ظرف من الظروف، قلنا: الله أكبر، أبت العوراء إلا أن تظهر، فقد بانت حقيقتكم وظهر أمركم)[٢].

وبعد أن ظهرت العوراء -على حد قولهم- فإنه لا مجال للالتقاء ولا للحوار أو التفاهم، وهذا هو موقفهم من مختلف الجماعات الإسلامية الأخرى.

---

(١) رسالة القتال في مصر، ومسألة التمييز بين المسلمين والكافرين، من رسائل حركة الجهاد الإسلامي بمصر، إعداد أبي إسحاق.

(٢) المصدر السابق.

د- موقف بعضهم من بعض:

يعتقد الغلاة أن قتال الحكام فرض عين، قال صاحب العمدة:

(وجهاد هؤلاء الحكام المرتدين وأعوانهم فرض عين على كل مسلم من غير ذوي الأعذار الشرعية)[١].

ثم يخطو مؤلف الكتاب خطوة أخرى فيقرر بأن اشتغال الجماعات بغير الجهاد خيانة:

(كما أننا نرى أن شغل المسلمين بأي أمر سوى الجهاد في سبيل الله، في هذا الزمان -كما تفعله كثير من الجماعات الإسلامية، هو خيانة لله ولرسوله ﷺ ، وخيانة لهذا الدين وتضييع له)[٢].

وإذا كان اشتغال الدعاة والجماعات بغير الجهاد خيانة، فهل يسلم هؤلاء الدعاة وهذه الجماعات من شرورهم إذا كانوا من العاملين في ميادين الجهاد وحدها؟!. حتى هؤلاء الذين يقولون بقولهم لا يسلمون، يقول صاحب العمدة:

(والجماعات التي لا تشتغل بالجهاد[٣] لا بأس بتعددها إلا إذا أضرت ببعضها

---

(١) كتاب العمدة في إعداد العدة للجهاد في سبيل الله، لمؤلفه: عبد القادر بن عبد العزيز.

(٢) المصدر السابق.

(٣) إذا كان اشتغال بعض الجماعات بغير الجهاد خيانة لله ولرسوله ﷺ وخيانة للدين وتضييع له كما قرر قبل قليل، فكيف يقرر هنا جواز تعدد هذه الجماعات؟!.

البعض، أما الجماعات التي تشتغل بالجهاد فيحرم تعددها، لأن الجهاد لا يقوم إلا بالشوكة والقوة، والتعدد يذهب بالشوكة)[١]. وبعد ذكره للأدلة الموهومة التي لا تجيز التعدد، يرى وجوب انضمام الجماعة الجديدة إلى الجماعة القديمة إذا كانت مجاهدة وعلى المنهج الحق، (ولا يدخل في هذا الجماعات المتلاعبة بشرع الله)[٢].

وهكذا فإن مؤلف كتاب العمدة يضع مجموعة من الأمور التي يسميها حقائق، وكل حقيقة لا بد وأن تتصل بالتي تليها:

الحقيقة الأولى: قتال الحكام اليوم فرض عين على كل مسلم من غير ذوي الأعذار الشرعية.

الحقيقة الثانية: الاشتغال بغير الجهاد خيانة، وأول ما تعنيه هذه الحقيقة إسقاط الشرعية عن العلماء والدعاة والجماعات لأنهم يشتغلون بغير الجهاد حسب تفسير القوم، وتعني أيضاً تعطيل مرافق الحياة من زراعة وصناعة وتجارة وغير ذلك.

الحقيقة الثالثة: لا يجوز تعدد جماعات الجهاد، ولكنه لم يضع حلاً شافياً لهذه المشكلة، فهو من جهة يقول بوجوب الانضمام لأول جماعة، ومن جهة أخرى يشترط أن تكون الجماعة القديمة على المنهج الحق، وهذا الشرط سيكون تكأة لأية جماعة في عدم انضمامها للجماعة الأولى، ثم يصبح فهم

(١) كتاب: العمدة في إعداد العدة للجهاد في سبيل الله، لمؤلفه: عبد القادر بن عبد العزيز.

(٢) المصدر السابق.

المنهج الحق وتفسيره مادة لخلافات شائكة لا تحسم إلا بالسلاح.

هذه الحقائق التي قررها صاحب العمدة كانت الأرضية التي بنت عليها الجماعية الإسلامية المسلحة في الجزائر غلوها -سواء علم بذلك المؤلف أم لم يعلم- فقد بدأت جرائمها بقتل الدعاة الذين لا يرون رأيهم في قتال النظام، ثم تطور موقفهم فأصدروا البيان رقم [٤٠] والذين أسموه: [بيان في قتال جيش الإنقاذ]، لأنه لا يجوز تعدد جماعات الجهاد، وبعد صدور هذا البيان أصبحت معسكرات جيش الإنقاذ هدفاً لهجماتهم التي تسفر عن فظائع لا حصر لها، وكان الإخوة في الإنقاذ حائرين لا يدرون ما يفعلون، لأنهم لم يصعدوا الجبال من أجل قتال أمثال هؤلاء، وبعد قتال جيش الإنقاذ جاء دور الذين يقاتلون في صفوفهم كالشيخ محمد سعيد وعشرات من إخوانه، ثم توالى القتل والذبح، فلم يعد أحد من الجزائريين آمناً، وبين حين وآخر كانوا يصدرون البيانات التي يؤكدون فيها أنهم الجماعة ذات الشوكة التي لا يجوز الخروج عليها.

وهذا الذي شهدته الساحة الجزائرية كان تطبيقاً عملياً لقواعد قعّدها شيوخهم خارج حدود الجزائر، وهو قابل للتصدير إلى بلدان أخرى، ولو كان لهؤلاء وجود مسلح في فلسطين المحتلة لرفضوا الانضمام لمنظمة حماس الفلسطينية، ولن يقبلوا بعد ذلك التعاون والتنسيق معها، لأنهم سيرفعون شعار فساد المنهج، وقس ذلك على غير حماس من المنظمات الجهادية في أي بلد من بلدان العالم الإسلامي.

* * *

ثانياً- مناقشة أقوالهم

١- لا ننكر أن بعض ما استدلوا به صحيح، لكن هذا البعض رغم قلّته وضعوه في غير إطاره الصحيح وندلل على ذلك بالمثالين الآتيين :

المثال الأول: نوافقهم على أن قانون تطوير الأزهر رقم [١٠٣ الصادر عام ١٩٦١] من أخطر الضربات التي وجهت إلى الأزهر، ولكن علماء الأزهر - وبشكل خاص الذين ذكروا أسماءهم: كالنمر، والشعراوي، والغزالي، وجاد الحق، لا علاقة لهم بإصدار هذا القانون، ولم يستشاروا فيه، بل إن وزير الأوقاف حينذاك الشيخ أحمد حسن الباقوري يقول في مذكراته: إنه سمع خبر إلغاء المحاكم الشرعية من إذاعة القاهرة بينما كان يقوم بزيارة رسمية للأردن، ومن جهة أخرى، فإن فساد القانون لا يعني فساد علماء الأزهر، ولا يجوز إطلاق القول في ذلك.

المثال الثاني: صحيح قولهم: إن جاد الحق عندما كان مفتياً لمصر، كانت له مواقف سيئة، ومن أبرزها ظلمه الشنيع للإخوة الذين قتلوا السادات، ولكن مواقفه في سني عمره الأخيرة عندما كان شيخاً للأزهر لا بأس بها، ومن هذه المواقف: مسألة الربا، واعتراضاته المتكررة كشيخ للأزهر على بعض مواقف العلمانيين الذين يدعمهم النظام، وهذه الاعتراضات تحولت إلى مشكلة بينه وبين المفتي السابق سيد طنطاوي الذي كان ينفذ كلّ ما تطلبه منه السلطة، فلعل

الله يغفر لجاد الحق بما ختم به حياته أخطاءه السابقة.

٢- هل من الأدب الإسلامي مخاطبة العلماء والدعاة بالعبارات والألفاظ التالية؟!:

(الدجال الأكبر [لشيخ الأزهر السابق]، الغزالي حذاء في أقدام الطغاة، وهو أيضاً ينكر معلوماً من الدين بالضرورة،... يذكرون شيخاً ثم يقولون في نعته: كذاب مأفون، وعن حسن البنا: يتلاعب في دين الله، وعن آخرين: قطاع طرق ولصوص.. خبثاء الطوية [ومن يعلم ذلك؟].. إخواني كذاب أشر... رقيع... ضال... مضل... كافر... مرتد... وما لم نذكره كثير وشديد القبح).

ليس هذا من أدب الإسلام، ولا هو من أخلاق المجاهدين، يقول تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]، ويقول رسول الله ﷺ: «ليس المؤمن بالطعان، ولا اللعان، ولا الفاحش، ولا البذيء»[(١)]. ويقول أيضاً: «لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة»[(٢)].

٣- قالوا عن الشيخ محمد الغزالي رحمه الله: (وفي كل أحواله لم يفارقه بطر الحق، وغمط الناس، وهما علامتا الكبر)، وهذا الاتهام لغيرهم [بغضِّ النظر عن مدى صحته] يعني استنكارهم واستقباحهم لبطر الحق، وغمط الناس، فهل هم

(١) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

(٢) رواه مسلم.

التزموا بالعدل والإنصاف في أقوالهم وأفعالهم؟!.

* عندما تحدثوا عن حسن البنا رحمه الله لم يذكروا من سيرته إلا دعوته إلى مبايعة فاروق عند بداية توليه الحكم، واعتراضه على قتل الخازندار، وانسحابه من انتخابات عام ١٩٤٣م بعد مساومة مع رئيس الوزراء مصطفى النحاس، لقد ذكروا هذه الأحداث بعد فصلها عن عصر البنا، وكأنها تحدث في عصرنا، ومن ثم فقد جاء ذكرها بالكيفية التي يريدون وكأنهم مسؤولون عن إحصاء أخطاء الناس، وهذا هو بطر الحق وغمط الناس، ولو أنصفوا وعدلوا لبيّنوا دور البنا رحمه الله في الدعوة إلى الله، وعظيم أثر دعوته في مصر وعموم بلدان العالم الإسلامي.

ولو أنصفوا [وهم الذين يرفعون راية الجهاد] لقالوا الكثير عن إشراف البنا على إعداد قوات مقاتلة، قاتلت المستعمر الإنكليزي في مصر، كما جاهدت وأبلت بلاءً حسناً في حرب فلسطين عام ١٩٤٨م، فحتى جهاد البنا لا يذكرونه من شدة ظلمهم له.

* ومن بطر الحق وغمط الناس هجومهم المقذع على الشيخ يوسف القرضاوي في مسألة قال الحق فيها. سُئل الشيخ عن شرعية الصلح مع إسرائيل، فأفتى بتحريمه لأنه استسلام لمخططات اليهود، وليس صلحاً، وهاجم في خطبة الجمعة سياسة إسرائيل العدوانية، بينما كان رئيس الوزراء الإسرائيلي في زيارة رسمية لدولة قطر، فهل يلام الشيخ على موقفه هذا؟!.

لو كان في القوم علماء منصفون لقلنا لهم: إننا نطالبكم بنقد القرضاوي في

أمور لا يجوز السكوت عنها: مثل كثير من فتاويه في كتابه [الحلال والحرام] وفتواه بإباحة أحزاب علمانية في نظام إسلامي، وتحمسه للحوار مع النصارى[١] والقوميين العلمانيين وغير ذلك من الآراء والفتاوى الشاذة للشيخ، ولكن أن يشنع عليه في موقف قد أنصف فيه فهذا هو الظلم.

* ومن بطر الحق وغمط الناس أن يختزلوا سيرة الشيخ محمد الغزالي رحمه الله ومقارعته لأعداء الإسلام، فلا يرونه أكثر من حذاء في أقدام الطغاة!! إنه الهوى، ولولا الهوى الذي أصمهم وأعمى أبصارهم لما تجاهلوا شهادة الشيخ الغزالي بالمحكمة في قضية اغتيال الطاغية فرج فودة أحد رموز العلمانيين في مصر.

لقد وقفت السلطة الظالمة ومعها الإعلام والعلمانيون والمخابرات وغير ذلك في جانب، ووقف الإسلاميون في جانب آخر... والجميع ينتظرون ماذا سيقول الشيخ الغزالي في قاعة المحاكمة؟!.

سُئل الشيخ في قاعة المحكمة عن حكم من يجاهر برفض تطبيق الشريعة كفراً أو استهزاءً، فلم يتردد في الإفتاء بردته وخروجه من الملة، ووجوب إقامة حد الردة عليه، كما أنه لم يتردد في إدانة القانون المدني المصري، وأمام هذا الموقف المؤثر لم يتمالك الشباب المعتقلون [وهم خصوم الشيخ] من الهتاف للغزالي وللأزهر.

---

(١) بلغنا أنه تراجع بعد إصرار النصارى على عدم الاعتراف بنبوة محمد ﷺ، وهذا غريب من الشيخ لأن هذه المسألة واضحة عند النصارى ولا تحتاج إلى حوار ثم يخرج علينا بعده ليقول: لقد فوجئت بعدم اعتراف النصارى بنبوة محمد ﷺ.

كان الشيخ محمد الغزالي وهو يقف هذا الموقف يعلم جيداً أن فودة ناطق غير رسمي باسم الدولة، كما كان يعلم أن أحد مستشاري الرئيس المصري يجلس قرب سريره في المستشفى ويوافي حسني مبارك ساعة بعد ساعة بالوضع الصحي له.

وفضلاً عن هذا وذاك فقد كان الشيخ الغزالي يعلم جيداً أنه سوف يتعرض لهجوم عنيف بعد هذه الشهادة من قبل أجهزة إعلام السلطة، وقد يتعرض للاغتيال، ومع هذه الاعتبارات كلها فقد وقف الموقف الذي يرضي فيه ربه راضياً بما سيترتب عليه من تضحيات، كما وقف من قبل مواقف كثيرة مشابهة لهذا الموقف... فهل من العدل والإنصاف وصف الشيخ بأنه حذاء للنظام؟!.

إنني أعلم أن الشيخ محمد الغزالي وقع في أخطاء كثيرة، وقد أشرت لبعضها في كتابي: [دراسات في السيرة النبوية]، وبعد صدور كتابي هذا وقع في أخطاء أشد، وقد رد عليه بعض طلاب العلم ردوداً منصفة، لكنه لم يكن حذاءً في أقدام أحد، ولم يكن أيضاً شيخاً من شيوخ السلطة، وإنما كان يقول ويكتب ما يؤمن به ويعتقده، صحيحاً كان أو خطأً.

٤- نكرر ما قلناه غير مرة: هؤلاء الدعاة والعلماء الذين يوزع عليهم الغلاة الشتائم والاتهامات هم صفوة الأمة الإسلامية، وقد تعرضوا للسجن والتشريد والحرمان في سبيل الله، ولو كانوا من أهل الشرك والنفاق لتقلدوا أعلى المراتب في حكومات بلدانهم.

وهذا وإن فضلهم في ميادين العلم والدعوة والإفتاء لا يمنع من الرد عليهم،

وتصويب أخطائهم، ولكن لا يكون ذلك برميهم بأوصاف تتقزز منها نفوس عباد الله الصالحين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وقد اتفق أهل السنة والجماعة على أن علماء المسلمين لا يجوز تكفيرهم بمجرد الخطأ المحض؛ بل كل يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ ، وليس كل من يترك بعض كلامه لخطأ أخطأه يُكفَّر، ولا يفسق، بل ولا يأثم؛ فإن الله تعالى قال في دعاء المؤمنين: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ ﴾ وفي الصحيح عن النبي ﷺ: «إن الله تعالى قال قد فعلت»)[1].

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥].

وقال شارح العقيدة الطحاوية في تعليق له على هذه الآية: (فيجب على كل مسلم بعد موالاة الله ورسوله موالاة المؤمنين، كما نطق به القرآن، خصوصاً الذين هم ورثة الأنبياء، الذين جعلهم الله بمنزلة النجوم، يُهتدى بهم في ظلمات البر والبحر، وقد أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم، إذ كل أمة قبل مبعث محمد ﷺ علماؤها شرارها، إلا المسلمون، فإن علماءهم خيارهم، فإنهم خلفاء الرسول من أمته، والمحيون لما مات من سنته، فيهم قام الكتاب، وبه قاموا،

(١) فتاوى ابن تيمية (٣٥/ ١٠٠).

وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا، وكلهم متفقون اتفاقاً يقيناً على وجوب اتباع الرسول ﷺ[١].

وإذا أسقطنا من حسابنا الدعاة والعلماء والجماعات فمن يبقى؟! وهل من المعقول أن تكون الدنيا مظلمة إلى هذا الحد؟! وأن الطائفة المنصورة التي لا يضرها من خالفها أصبحت في هذا العصر قاصرة على مجموعة [الأبوات] المجهولين الذين لا يعرف الناس عددهم، ولا تاريخهم، ولا أسماءهم؟!

لقد تفننوا في تدريس العامة من أتباعهم مثالب العلماء والدعاة والجماعات لا يستثنون إلا من سار في ركابهم وقال بقولهم، ووصل بهم الحد إلى وضع قواعد في التجريح:

- فهذا برلماني يرى جواز الدخول في البرلمانات.
- وذاك إخواني محترق.
- والثالث: سلفي مزعوم.
- والرابع: شيخ من أهل الفقه ضعيف في فهمه لحال أهل زمانه.

ويصدق الأتباع شيوخهم، فيطلقون ألسنتهم في شتم خيار الأمة، وقد يشدهم حدث من الأحداث التي اعتاد الغلاة على صنعها في هذا البلد أو ذاك فيزداد تعلقهم بقيادتهم التي وعدتهم بعودة الخلافة الإسلامية على أيديهم خلال وقت

(١) شرح العقيدة الطحاوية: لابن أبي العز الحنفي، الأذرعي، ص(٥٥٥)، المكتب الإسلامي.

قصير جداً وقد لا يزيد في أسوأ الأحوال على سنتين أو ثلاث.. ثم يمضي الزمن دون أن تتحقق هذه الوعود بل قد تتكشف مفاجآت تفضح القادة، فيتعرض الأتباع لصدمة عنيفة تفقدهم التوازن وتدفعهم إلى الانحراف وذلك لأنهم كانوا من قبل قد فقدوا الثقة بالعلماء والدعاة والجماعات، وقطعوا جميع الوشائج التي كانت تربطهم بهم، وها هم يفقدون الثقة بشيوخهم الجدد، وقد شاهدت بنفسي أمثلة على ذلك في القديم والجديد.

٥- هل يهدف دعاة هذا الحزب حقاً إلى إقامة دولة إسلامية؟! إن الذي يدفعني إلى طرح هذا السؤال ما أراه من تناقض مواقفهم وأعمالهم مع سياسة ونهج الذين أقاموا دولاً، وقادوا حروباً، وحققوا انتصارات، فهؤلاء [أعني الذين أقاموا دولاً] أدركوا منذ بداية سيرهم في هذا الطريق أنه لا بد من تحديد الهدف، وحصر دائرة الصراع، وتجنب الاستدراج إلى معارك جانبية تبدد الجهد وتستنزف الطاقات، كما أنه لا بد من الحرص على عدم قطع الخيوط مع الأصدقاء الذين يرتبطون بهدف واحد ومصير واحد.

أما هؤلاء فإنهم يحاربون على كافة الجبهات في وقت واحد، ويتفننون في كسب عداوة الناس، ولا يفرقون بين الصديق والعدو، وقد رأينا فيما مضى أن موقفهم من العلماء والدعاة والجماعات مناقض للأدلة الشرعية وقائم على مزيج من الأوهام والأهواء، وكان بوسعهم -لو كان عملهم صحيحاً ومشروعاً- الاستفادة من معظم الهيئات الإسلامية كل في حدود اختصاصه وفيما يقدر عليه، وتحييد

الهيئة التي يتعذر الاستفادة منها، وإهمال الرد عليها إن أبت إلا الإساءة والتشنيع.

إن جميع الأمم المحاربة تعمل على حصر دائرة الصراع، وتتجنب تعدد جبهات القتال، فبالنسبة إلى الأمة الإسلامية هناك أدلة كثيرة على ذلك من أحداث السيرة النبوية، وبالنسبة للأمم الكافرة فحتى الزعيم الألماني [آدولف هتلر] -وهو قمة في الحمق والغرور- وجد نفسه مضطراً لإقامة حلف بينه وبين إيطاليا واليابان، وقد خاض مع هاتين الدولتين حرباً ضد الأمريكان والإنكليز والفرنسيين والسوفييت، وهي الحرب الكونية التي سميت بالحرب العالمية الثانية، فهل يكون هتلر أكثر واقعية من هؤلاء الإخوة الذين يحاربون الحكومات الأجنبية، والحكومات المتسلطة في بلدان العالم الإسلامي، كما يحاربون العلماء والدعاة والجماعات والشعوب، وكل هذا يحدث في وقت واحد، وفضلاً عن ذلك كله فهم لا يملكون أرضاً يقفون عليها، ولا مالاً وإعداداً يضمنان لهم استمرارية المعركة.

إن قناعة دعاة حزب الغلو بأن الأهداف الإسلامية لن تتحقق، ولن يكون الدين كله لله إلا إذا انتهى دور جماعات الضرار، ولذلك فهم يحرصون دائماً على إذكاء روح العداوة والبغضاء والكره مع العلماء والدعاة والجماعات.. هذه القناعة تذكرني بشعار القوميين العلمانيين العرب الذين رفعوه قبل بضعة عقود، وموجزه أن تحرير فلسطين لن يكون إلا بعد القضاء على الأنظمة الرجعية المتخلفة، وعندما تمكن هؤلاء القوميون من الحكم أهلكوا الحرث والنسل، ثم

استسلموا لليهود بشروط مذلة لم تجرؤ الأنظمة الرجعية على الإقدام عليها من قبل، وأقدمت عليها على استحياء بعد أن مهد لهم الرفاق الثوار الطريق، ثم تحالف الرجعيون مع التقدميين وأصبح هدف الجميع الحكم وليس تحرير فلسطين أو الوحدة العربية أو غير ذلك من الشعارات البراقة الجوفاء.

٦- قلت فيما مضى وعند الحديث عن نشأة حزب الولاة: (إن أهم ما يجتمعون عليه ويفاصلون من أجله مسألة الولاء التام والانقياد الكامل لمن يسمونهم [ولاة أمور المسلمين]، وقد يتفقون مع غيرهم في جميع أمور الاعتقاد، ويختلفون معه في هذه المسألة فيخاصمونه من أجلها أشد المخاصمة، ويصبح عندهم مبتدعاً وهجره واجب).

ومن أصول الاعتقاد عند أهل السنة موالاة الله ورسوله والذين آمنوا، وفي المقابل فإن عداوة الذين آمنوا مخالفة خطيرة لهذه الأصول، وقد توعد الله من آذى له ولياً بالحرب، فكيف بمن آذى جميع المسلمين باستثناء قلة قليلة جداً منهم.

وقد وجدت تشابها كبيراً بين حزبي الولاة والغلاة في هذه المسألة، إذ أن أهم ما يجتمع عليه الغلاة ويفاصلون من أجله: الخروج على الأنظمة المعاصرة وقتالها قتال ردة، ومن لا يرى رأيهم ولا يقول بقولهم يعادونه أشد العداوة، ولو كان من أعلم وأتقى وأصدق أهل هذا العصر، وهذه هي السلفية عندهم، والاختلاف بين الحزبين في المسألة التي اتخذوها أصلاً، وهذا من صنيع المبتدعين وأهل الأهواء، نسأل الله السلامة.

ثالثاً- دمِّر .. خرِّب .. احرِق

بيني وبين العقلاء من شباب الجهاد مجموعة من الأصدقاء تربطهم بهم أواصر القربى أو الجوار أو زمالة الدراسة، ولهذا فهم يحسنون الظن بهم، ويدافعون عن كثير من أفعالهم، وإن كان بطلانها واضح بيّن. ينشط هؤلاء الأصدقاء في إصلاح ذات البيْن، فهم عند أصدقائهم يدافعون عن وجهة نظري، وعندي يدافعون عن وجهة نظر أصدقائهم، وأنا أحمد لهم هذه المساعي التي تنمّ عن طيب معدنهم، ويا ليت الكثير من الناس ينهجون هذا النهج.

قال لي هؤلاء الأصدقاء ذات مرة: سمعنا أنك رفضت استقبال من رغب زيارتك والحديث معك من شباب الجهاد ألا تظن أن الحوار من أنجح وسائل الإصلاح؟

قلت: إنني مقتنع بأهمية الحوار وعظيم جدواه، وانطلاقاً من هذه القناعة كنت لا أرد من جاءني زائراً سواء كان يريد الحوار أو يريد الجلوس معي والتعرف على أفكاري وتصوراتي، وأوقعني هذا التساهل مع الآخرين في مواقف محرجة، ومن أهمها أن هذا الزائر الذي أحسنت استقباله يخرج من منزلي ليحدث الناس بأمور ما سمعها مني ثم يجد من يصدِّقه، ويساهم في نشر هذه الأقاويل التي لم أتلفظ بها لا بحضور هذا المدعي المفتري ولا بغيابه، وفضلاً عن ذلك فإني لا أعتقدها البتة. وبلغت الوقاحة ببعضهم إلى كتابة مقالات وإلقاء محاضرات في الرد على أفكاري الموهومة.

وبعض هؤلاء يريد أن يزورني ليفحمني بصحة غلوه، ويقيم الحجة علي، وأي كلام يقوله فيما لو زارني سيعتبره إفحاماً لي، وإقامة للحجة علي، مع أنه يفتقد الحد الأدنى من العلم الشرعي، ولكنه الغرور الذي أصبح طبعاً من طبائع هؤلاء الشباب.

أمثال هؤلاء وأولئك كيف أستقبلهم مرة ثانية وكيف ألدغ من الجحر الذي لدغت به من قبل؟ أما العقلاء من منسوبي الجهاد فقد استقبلتهم وسأستقبلهم وأحاورهم ما دام هناك خير من الحوار معهم، بل وسأسعى إليهم مستمعاً ومحاوراً ومتعاوناً في القناعات المشتركة وهي كثيرة والحمد لله.

أيها الإخوة: إننا نعيش في حقبة من الزمن يستطيع كل واحد من الناس أن يردد المفردات التي تستخدمونها فيما بينكم فتطربون لقوله وتعدّونه منكم مع أنه قد يكون مخرباً مفسداً، ودعوني أدلل على ذلك بفقرات من مقال نشرته صحيفة [الأنصار] العدد [١٠٥] تاريخ ١٤ صفر ١٤١٦ هـ الموافق ١٣/ ٧/ ١٩٩٥م تحت عنوان: [دعوة للجهاد والإرهاب]، يقول الكاتب:

(كلمات في اللغة وُصِفت بالإرهاب وصاحبها إرهابي في كلِّ كتاب: دمّر.. خرّب.. احرق.. انبش.. اقتل.. اذبح.. فجِّر كل طرق الضلال.. كل البارات.. انبش قبور الظلم على الظلمة، واهدم قصور البغي على السفلة، واحرق كل كتاب زنديق وعلماني مرتد.. ثم احرقه.

كن إرهابياً.. كن متطرفاً.. كن متعصباً لله وللإسلام الحق. وإياك أن تصاحب

مرتداً أو تجلس تتسامر مع وغد).

(أدعوك لتفخخ سيارة بكل ما تملك من أموال لتنسف موكب [يذكر هنا أسماء بعض الرؤساء والملوك].. أدعوك لتدمر بنكاً أشاع الربا والكفر.. أدعوك لتزرع لغماً مشركاً تحت قصور البغي فتهدمها.. أدعوك لتطلق رصاصة تقتل من اغتصب أختك أو شرد طفلك.. أدعوك لقتل كل من ارتدى بزة شرطة وعلق جماجم الموت على كتفيه وشفتيه، بدم أخيك المسلم).

(أدعوك لذبح كل من أفتى لطواغيت الأرض بدم المسلم وعرض المسلم وسجن المسلم ولو تدلى من عنقه ألف مصحف أو لبس عمامة وكتم ما أنزل ربي من علم ليأكل في بطنه ناراً وزقوماً، أدعوك لتغتال مرتداً باع القدس في مدريد، ومنافقاً مرتداً باع القدس في تل أبيب، ومنافقاً ابن يهودية ألغى السنة النبوية وصلى العصر ثلاث ركعات ونشر الكفر بليبيا بدين القومية.. قذاف الهجس..).

(أدعوك لتكون جزاراً متفنناً في الذبح وتسمي الله وتذبح لله لعلك تخلّص الأرض والبشرية من مرتد، وينشر على يديك الحق بإذن الله. دعك من الجبن ما كان المسلم يوماً يرضى ليقبع تحت السجّان وشرفه يمزق ويهان ويترك السيف).

(اليوم تحاول أن تخرج للعالم باسم الله وبدين محمد ومعك السيف لتؤكد أن عرض المسلم وشرفه ليس بملعب لخنازير الأرض وأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين.. يأثم من ترك السيف، ويفسق من يلغي السيف، انسف، دمر، خرب، انبش، أضف إلى قاموس الرعب كل مصطلحات الخوف، واعلم أن مسيرة شهر

من الرعب ستصيب الباطل وأن الظلم وإن طال عليك أن يطلع فجرك إلا والدم على سيفك من قلب الظالم، وهيئات الظلم يفجرها المظلوم المؤمن وأن مسيرة شهر لم تعط إلا لنبيك ولأمته فدمر، انسف، احرق، اقتل، اهدم، اذبح، انبش، اغتال، خرب، كن إرهابياً متطرفاً بدين محمد، بالإسلام، يدعوك الإسلام للإرهاب فلا تجلس مثل النسوان). انتهى المقال.

فيما أظن أن أول ما يسأل عنه القارئ وهو يقرأ هذا المقال:

ترى من يكون الكاتب؟!، وهل هو جاد فيما يدعو إليه؟!، ثم لا يلبث أن يصل إلى الجواب في نهاية المقال: التوقيع: موحد، وموحد تعني أنه مجهول!!، وإذا افترضنا أنه يكتب عن قناعة وصدق، فكيف يطلب من الآخرين أن يتخلوا عن الجبن، ويجبن عن بيان اسمه؟ هذا من جهة؛ ومن جهة أخرى فالتدمير، والنسف، والتخريب يحتم على الكاتب أن يعود إلى بلده ليزاول فيها هذه الأفعال، أما أن تكون هذه البطولة حبراً على ورق في بلد أوروبي ضمن له حرية القول بما يشاء، كما ضمن له مكافأة شهرية تسد حاجاته الضرورية، فمثل هذا الرجل يصدق فيه قول الشاعر:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

ثمة سؤال آخر لا بد أن يفكر به القارئ: هل يكون هذا الكاتب المجهول رجل أمن خطير أراد من وراء هذا المقال أن يقول لمنظمات حقوق الإنسان، ولكل من يدافع عن هؤلاء المظلومين: إنهم مجرمون قتلة يستبيحون دماء رجال

الأمن وعلماء الأمة الذين يفتون على غير رغبتهم.. كما أنهم يستبيحون تدمير مؤسسات الدولة العامة؟!.

وهل أراد كاتب المقال أن يقدم دليلاً ملموساً للنائب العام وهيئة الاتهام ليستخدموه ضد المتهمين، وليقولوا للمحامين الذين يدافعون عنهم:

أما تخجلون من الدفاع عن متمردين يتبنون سياسة: (انسف، دمر، خرب، انبش، اذبح، اغتال.. كن إرهابياً متطرفاً.. وهذه هي مجلة ناطقة باسمهم؟.. وكيف لا تقفون مع حكومة تحافظ على أمنها وسلامة رعاياها ومؤسساتها؟، وهل رأيتم دولة في العالم تقف مكتوفة الأيدي ضد الخارجين عليها بقوة السلاح؟

أيها الإخوة: هل رأيتم أحمق من مظلوم فعل ظالمه به كل ما يقدر عليه من تعذيب لا يحتمل، وهمجية لا تحضرني عبارة تحيط بنعتها، وخسة ودناءة قد تتعفف بعض الوحوش عن فعلها.. ثم يدين نفسه ويدين إخوانه بتهديدات هو غير قادر على فعلها؟.. أما كان الأولى من ذلك كله أن يبين مظلمته للناس جميعاً، ويطلب منهم النصرة والتأييد وشجب الظلم والظالمين؟.

قد يقول قائل: ها قد عدت إلى التعميم، وإلا فما علاقة عامة منسوبي الجهاد بمقال ورد في نشرة تتحدث باسم الجماعة الإسلامية المسلحة في الجزائر والتي لا نشكُّ بغلوها ومجافاتها للمنهج الحق؟!.

وها هنا لا بد من تذكير الإخوة بأن العدد من المجلة المذكورة الذي حوى هذا المقال صدر في وقت كان فيه معظمكم يؤيد هذه الجماعة، ولا يقبل فيها أي

قول.. ثم تغير موقفكم فيما بعد، وصرتم تقولون فيها أضعاف ما كنا نقوله، وليست هذه هي المرة الأولى التي تغيرون فيها مواقفكم بطريقة يشوبها الكثير من التناقض والاضطراب، ومن أجل مزيد من تنشيط الذاكرة، نعيد ذكر الخبر التالي: سئل ناس منكم ذات مرة عن موقفهم من هذه الجماعة وفلاسفتها الذين ركبوا الموجة فأجابوا: موقفنا هو كموقف التلامذة من أساتذتهم!!.

نذكركم أيها الإخوة بالقاعدة الآتية التي أجمع عليها علماء الملة: [لا يجوز دفع المفسدة بمفسدة أعظم منها]، وواقع الحال يؤكد أنكم خالفتم هذه القاعدة عشرات المرات، فإلى أين أنتم سائرون؟!، إنني أربأ بقياداتكم أن يكونوا مثل صاحب المزرعة الذي يزاول مهنة تسمين الخراف، ثم يقدمها للجزار ليذبحها، وكلما انتهى فوج قدم لهذا الجزار فوج آخر، ورجائي إليكم إن انتابكم شك في ذلك أن تستعرضوا تجارب جماعات الجهاد خلال ربع قرن واحد ليس أكثر.

لقد اعتدنا على سماع خبر انفجار أو محاولة اغتيال، ثم تتجه الأنظار إلى من يسميهم الإعلام بالأصوليين.. تتجه الأنظار لهؤلاء دون غيرهم، وبعد أيام قليلة تعلن دوائر الأمن عن ضبط الجناة.. ثم يشاهد الناس على شاشات التلفاز مجموعة من الشباب الملتحين وهم يمثلون الجريمة التي ارتكبوها.. ويتفق عقلاء الدنيا على أن هذه الجريمة لا تغير واقعاً ولا تضعفه بل تزيده قوة وشراسة وجبروتاً.

المبحث الرابع

الحاجات تبيح المحرمات

أولاً- الحاجات تبيح المحرمات :

يحتاج خوارج العصر إلى المال، وليس هناك سبيل مشروع للحصول عليه، ولا تزال الحاجة تلح عليهم حتى تلجئهم إلى السرقة التي يسمونها غنيمة، وما هي من الغنيمة في شيء، والعجيب الغريب أنهم يتلاعبون بالنصوص الشرعية، ثم يخرجون بفتوى يقولون فيها إن عملهم هذا مشروع، وهو غنيمة لا تختلف في شيء عن غنائم الرسول وأصحابه ﷺ .. كيف يمتلكون هذه الوقاحة ولا أقول الجرأة؟ وهل هم مقتنعون بما يفعلون؟. وفيما يلي سوف أعرض ثلاثة أمثلة:

المثال الأول من مصر: في نهاية السبعينيات من القرن الماضي اعتبروا محلات صناعة الذهب التي يمتلكها الأقباط هدفاً لهم، فكانوا يدرسون المكان والزمن وأسلم الطرق، ثم يهجمون على المعرض فيأخذون كل ما يقدرون عليه، وقد يجدون مقاومة فلا يبالون بمن يقتل لأن كل ما يفعلون حلال، وهم دائماً على حق.

حدثني من هداه الله ونأى بنفسه عنهم قال: المشكلة في توزيع هذه الغنائم، فقد يطمع المتنفذون بما هو أكثر من حقهم، ويحتدم الخلاف فيما بينهم، ويحتكمون إلى فقيهم، ويقبلون حكمه على مضض. هذا في الظاهر، أما الباطن

فتبقى النفوس معبأة ، وهذا مما وسَّع رقعة الخلاف فيما بينهم.

قلت: وهل كنت مقتنعاً بهذه الغزوات!!.

قال: كنت في حيرة من أمري، فأحياناً أقتنع لثقتي برموزهم، وأحياناً تهتز هذه القناعة، حتى انتهى بي الأمر إلى الابتعاد عنهم، ولكن بقيت أتساءل كيف سمح فقيههم لنفسه أن يعيد الأمانة التي خبؤوها عنده منقوصة حيث احتفظ لنفسه بأكثر من كيلو غرام من الذهب.

كنت أتساءل إذا كان ما فعلوه وأخذوه غنيمة كما أفتى لهم فكيف خان الأمانة، وهذه صفة من صفات المنافقين؟.

المثال الثاني من العراق: بعد احتلال العراق عام ٢٠٠٣م تنادى أهل السنة فيه إلى حمل السلاح، وتكونت جماعات جهادية تلتزم بأحكام الشريعة الإسلامية في الجهاد، وشذّت عنها جماعة تنتسب إلى القاعدة، وتكاد هذه الجماعة لم تترك منكراً إلا وفعلته.

لقد استهدفت البنوك والمصارف ومرافق الدولة، وكانت تختطف أحد الوجهاء أو الموسرين ثم تفاوض عليه لقاء مبلغ معين، كما كانوا يأخذون الأموال والسلاح من النظام الكسروي الإيراني، ومثل ذلك من النظام النصيري السوري، وما أمر أبو القعقاع عنا ببعيد. وكانوا يمارسون مثل هذه الأفعال مع مَنْ يفترض أن يكونوا إخوانهم من جماعات الجهاد، ولقد شهدت -من خلال [الفيديو] الذي كانوا يسجلونه ليرعبوا الناس- محاكمة عناصر من جماعات الجهاد انتهت بقتلهم.

بعض الدعاة الذين كانوا يحسنون الظن بقيادة القاعدة في أفغانستان أو في باكستان ساءهم ما يفعله فرعهم في العراق، وظنوا أن القيادة لا تدري، فغامر أحدهم بنفسه وعرض الأمر عليها، وهو يتصور أن قراراً زاجراً سوف يصدر عنها، ثم فوجئ ببيان يصدر عن هذه القيادة يثنون فيه على فرعهم في العراق، وعلى قائده أبو عمر البغدادي وشبهوا بعض أفعاله الحكيمة -على حد قولهم- بأفعال أبي بكر الصديق.. وعندئذٍ صحا هؤلاء من غفلتهم، وعلموا أن حمداً لا يختلف عن أخيه حمدان.

المثال الثالث من أوروبا الغربية: في نهاية الثمانينيات من القرن الماضي [وكنت أعيش في بريطانيا] جاءنا هؤلاء يطلبون الأمن والأمان في ديار الغرب.. وقبلت هذه الدول لجوءهم، واللجوء يعني منحهم وأسرهم السكن المناسب ومكافأة شهرية وحق العلاج في مستشفياتهم وقبول أبنائهم في مدارسهم.. وهذا مما لا يستطيعون الحصول عليه في أوطانهم، ولهذا فقد التجأ إلى أوروبا بعض من ليس له مشكلة أمنية ولا سياسية في بلده.

وعندما استقرت أقدامهم أخذوا يمارسون شذوذاتهم لا سيما وهم يعلمون أن هذه الدول التي تستضيفهم تمنحهم هامشاً واسعاً من الحرية.. ومن هذه الشذوذات التي أحرجتنا أشد الإحراج السرقة التي سموها غنيمة، ولهم في هذا الباب خبرة واسعة تفوق من بعض الوجوه خبرة عصابات [المافيا] ، وكان من فرسانهم مصريون شاركوا في سلب ونهب بعض محلات الأقباط، كما رأينا فيما مضى.

وكان من أهم الوسائل التي استخدموها تزوير البطاقة البنكية [فيزا كارد] التي تستخدم في الشراء من المحلات العامة أو عند سحب أموال من البنوك، وعندما شاعت هذه الظاهرة اخترع الأوربيون الذين أتقنوا أمور دنياهم ما يكشفها، وعندئذٍ يتصل المحاسب برجال الأمن، ويأتون بعد دقائق ويقتادون هذا المحتال إلى السجن، ثم إلى المحكمة التي تصدر حكمها بسجنه بضع سنين ولله الأمر من قبل ومن بعد.. ثم يكتم أهله وعصابته أمر سجنه ويقولون عند السؤال عنه: هو سافر إلى البلد الأوروبي الفلاني لإعداد بحث يتعلق باختصاصه ليقدمه إلى جامعته، ولكن الخبر ينتشر والظاهرة تعم ونحن نشارك بالوزر لأننا مسلمون!!.

تصور أخي القارئ الكريم أن القدر ساقك إلى محطة بترول أو إلى السوق، وبينما كنت تقضي حاجتك لفت نظرك تجمع كبير، فرأيت الشرطة يسوقون شاباً عربياً له لحية طويلة ويلبس ثوباً قصيراً التزاماً بالسنة النبوية، ثم تسأل من حولك من الأعاجم وأنت تتظاهر بالغباء والغفلة: ماذا صنع هذا الشاب، فيأتيك الجواب بعد تردد: هو نصاب محتال!! فكم تشعر بالخجل وأنت تتلمس لحيتك التي تشبه لحيته، وتمسك بثوبك الذي يشبه ثوبه، وتنظر في المرآة فترى لونك الذي يشبه لونه، ومن ذا الذي يقنع هؤلاء الأعاجم بأنك تختلف عنه، وأن دينك يحُرِّم هذه الأفعال، ويعاقب من يُقدم عليها.. ومن أين جاءنا هؤلاء؟ ألا يكفي ما فعلوه في بلداننا من منكرات؟!.

كلنا صرنا متهمين في نظر الأوروبيين. لقد حدث هذا معي أكثر من مرة

واحدة، كنت أتسوق وعند المحاسبة أقدم البطاقة البنكية [الفيزا كارد] فيعطيها المحاسب لشخص آخر يقف بالقرب منه، يغيب قليلاً ثم يعيدها إلى المحاسب مع إشارة بالموافقة، فيتمم إجراءاته بعد أن يعتذر وتفتر شفتاه عن ابتسامة مزيفة يصدق فيها قول الشاعر:

يعطيك من طرف اللسان ويروغ منك مراغ الثعلب

يا الله عفوك وغفرانك، بالأمس دخل الناس في دين الله أفواجاً بعد أن رأوا أننا نقول فنصدق، ونحكم فنعدل، ونعد فلا نخلف، ولا نبخس الناس أشياءهم.. واليوم أقف بشيبتي أمام البائع الأعجمي متهماً حتى تثبت براءتي ولا ذنب لي سوى هؤلاء الذين قدموا أسوأ النماذج عن ديننا وأخلاقنا. أسأل الله الهداية لهؤلاء الذين يشعرون أنهم يعيشون في غابة أو في سفينة هي لهم وحدهم ولا يقبلون أو يعترفون بشريك، والقول قولهم، وقول عالمهم وفقيههم الذي يعطونه نصيباً من الغنيمة [السرقة] ومثله كمثل مفتي سرقة ذهب الأقباط في مصر، كما رأينا فيما مضى.

ورُبَّ سائل يسأل: وهل كلهم كانوا كذلك؟!

أكثرهم كانوا كذلك، ومن لم يزاول هذه المهنة، فقد كان يرى شرعيتها مع شيء من الكراهية، وأقلهم كان يرى حرمتها، وكان بيننا وبين هؤلاء تعاون في بعض المجالات الدعوية، وأكثرهم تراجعوا عن هذه الأفكار كلها، وسجّلوا تراجعهم في كتيبات صدرت عنهم، وذلك كما فعلت الجماعة الإسلامية في مصر، والجماعة المقاتلة في ليبيا. جزاهم الله خيراً وجمعنا وإياهم على ما يحبه لعباده الموحدين.

ثانياً- قتل النساء والذراري:

في معركة الجماعة الإسلامية المسلحة مع الحكومة الجزائرية في التسعينيات من القرن الماضي، قرروا قتل النساء والذراري ، ولا أدري هل هم قرروا ثم نفذوا، أم نفذوا ثم قرروا، ليس هذا هو الذي يعنيني، إنما الذي يعنيني وأود التحذير منه يتلخص في نقطتين:

الأولى: هذا القرار لم يبق حالة شاذة فعلتها الجماعة المسلحة الجزائرية، وإنما تبناها ودافع عنها الكثير من جماعات الجهاد، وإن كان قد استنكرها بعضهم.

الثانية: وهي الأهم هي حشد النصوص وإنزالها على واقع يفرضونه لا يقرهم عليه عالم يعتد بعلمه، وقد يستدل بهذه النصوص من يرد عليهم وينقض أقوالهم، والأشد خطورة أن هذا الذي أفتى نكرة وليس من أهل العلم والفتوى، وهذا عبث بدين الله.

وفيما يلي تلخيص لأهم ما جاء في فتواهم:

- الجماعة الإسلامية تقاتل الطاغوت المتسلط على المستضعفين من المسلمين في هذه الديار على أساس الردة.

- فالطاغوت بكل الشرائع الموالية له طائفة مرتدة.

- والدار مركبة بين دار إسلام حيث تسيطر الجماعة وتقيم الأحكام، ودار ردة

حيث يسيطر الطاغوت ويقيم أحكام الردة.

- الجهاد فرض عين في الجزائر وغيرها من الدار التي كانت يوماً ما إسلامية.

- الجماعة هي الراية الوحيدة المبصرة للجهاد في هذه الديار.

- أمير الجماعة هو ولي أمرها، فهو الذي يسوس المسلمين بالشرع، توحيداً لهم في المسائل الجامعة خاصة وغيرها عامة.

تلمس رأسك أخي المسلم إذا كنت في مكان تستطيع سيوفهم وخناجرهم من الوصول إليك، لأنك لا تدري بعد هذه القرارات متى يأتي دورك، وإن كنت في شك من هذا فاقرأ معي قولهم:

(فمن خالف هذا وأصرَّ على نشر رأيه والعمل به والدعوة إليه، استحق التعزير بحجة إشاعة الفرقة وترك السمع والطاعة، والتعزير موكول للأمير يقدره بما يحقق مصلحة الجماعة، وإذا كان الأمير ليس من أهل الاجتهاد أو العلم المؤهل للفتوى فيكفيه الأخذ بفتوى أهل العلم والثقة في الجماعة ما دامت فتواهم هي وجه من الوجوه التي ذهب إليها من يعتبر علمه عند السلف).

وإذا علمنا أن القتل وجه من وجوه التعزير، وأن تقدير الحكم بيد جاهل [أزعر]، فقد لا نجد بريئاً واثقاً بأن سيوفهم لن تناله.

وبعد هذه القرارات ينتقلون إلى حكم قتل النساء والذراري وفيما يلي أهم ما انتهوا إليه بعد سردهم لأقوال العلماء:

- فإذا لم تتحقق المصلحة باستبقائهن وحصلت المفسدة جاز قتلهن لذهاب المصلحة ووجب قتلهن لدفع المفسدة.

- إن أبناء الطواغيت ونساءهم هم عيون لهم على المجاهدين يحرضونهم ويؤمِّنون لهم الطريق، ويتصيدون لهم أخبار المجاهدين أو المجاهدات.

وخلاصة الأمر في المسألة أن قتل نساء الطواغيت هو تحقيق لمصلحة قد ترجح عندنا أنها لا تتحقق إلا بذلك، في هذه الظروف من انهدام دار الإسلام وانعدام عقيدة الولاء والبراء، وأن المصلحة من استبقاء نساء الطواغيت لا تتحقق فلا أمل في استرقاقهن ولا إسلامهن.. وأن المفسدة في بقائهن مع أزواجهن المرتدين المحاربين محققة لا تندفع، ومتعددة لا تحصر بإعانتهن على قتالنا بالصور السالفة الذكر، وتحقيق مصلحة الطواغيت في أمن وأمان فتقضى حاجاتهم، ويكثر نسلهم ويتقوى صفهم.

هذا هو اجتهادهم، والسؤال: ما هو موقفهم من طلاب علم أيدوهم في كل شيء، وقالوا بخلاف قولهم في مسألة قتل النساء والذراري؟!

الجواب ما قلته قبل قليل فليتلمسوا رؤوسهم إن طالتهم سيوف القوم، ولا مجال لغير ذلك، وفيما يلي قرارهم الحاسم:

(أما ما يعتد به من أهل العلم فلا يحل له أن يفتي بخلاف ما قررته الجماعة وغيره بما فيه الخلاف، ولا يحل له أن ينشر رأيه بين المجاهدين فضلاً عن غيرهم، وله أن يراجع الأمير أو نوابه دون غيرهم، ومن خالف بعد بلوغ التعليمة

إليه فحكمه التعزير بما يحقق مصلحة دفع التثبيط والتخذيل والتفرقة.. وسواء أكان من أعضاء الجماعة أو من غيرها).

وقالوا:

(وإن ناساً برؤوسهم وساوس لا تزول بالحجج الشرعية إنما تزول بعصا عمر كما قال أحد السفهاء المجادلين في الحق: كانت في رأسي وساوس أزالتها عصا عمر).

عصا عمر رمز للقوة، والقتل نوع من أنواع التعزير، والقول ما يقوله قادة هؤلاء الحمقى المبتدعين والضالين المضلين، والسيف أقرب لكل منهم من شراك نعله!!.

اللهم لا تمكِّن أمثال هؤلاء، ولا تجعل لهم سلطاناً في الأرض.

المبحث الخامس

عبرة لمن يعتبر

لا تُذكر النهضة الإسلامية الحديثة في الجزائر إلا ويذكر معها اسم الشيخ محمد سعيد رحمه الله، لأنه كان أحد مؤسسيها[١]: في عهد الاستقلال، وفي أجواء سياسية خانقة تنكر فيها العسكريون لعقيدة أمتهم، وفرضوا المبادئ الاشتراكية العلمانية على شعب الجزائر الذي قاوم الاستعمار الفرنسي دفاعاً عن هويته الإسلامية، وما كان يدور بخلد أبنائه المجاهدين بأنهم سوف يستبدلون مبادئ العلمانية والاشتراكية بالمبادئ الفرنسية.

في هذه الظروف العصيبة التي كان العمل الإسلامي فيها غرماً وليس غنماً، نهض الشيخ محمد سعيد عندما كان طالباً في جامعة الجزائر بواجب الدعوة إلى الله، ثم استقل مع مجموعة من إخوانه في جماعة أسموها "الجماعة الإسلامية"، تميزت عن غيرها بتأثرها بأفكار مالك بن نبي رحمه الله، واهتمامها بالتراث الجزائري، ورفضها الانضمام إلى جماعات إسلامية خارج الجزائر.

عارضت الجماعة الإسلامية فكرة قيام حزب إسلامي، وقد عبّر الشيخ محمد سعيد عن هذه المعارضة في كلمته التي ألقاها في الاجتماع الحاشد الذي

---

(١) اسم هذه الجماعة [البناء الحضاريي، ويسميها الناس في الجزائر [الجزأرة]، وكانت في البداية تسمى [الجماعة الإسلامية]، وأبقيت في حديثي عنها الاسم الأخير كما هو.

عقد في مسجد السنة في باب الواد، فقوبلت معارضته باستنكار وسخط أنصار مشروع الجبهة الإسلامية للإنقاذ، ورد عليه بعضهم رداً شديداً أدى إلى شيء من توتر الأجواء في هذا الاجتماع الكبير.

حصلت جبهة الإنقاذ على ترخيص من الدولة بسرعة لم تكن متوقعة، ولم تعبأ باعتراضات المخالفين لها ونقدهم إياها، وقدمت نفسها كبديل إسلامي لحالة التشرذم في الصف الإسلامي، فاستبشر الناس بها خيراً، وانضم إليها جمهور المستقلين من الدعاة ومن الذين كانوا يعملون في جماعات إسلامية لكنهم سئموا من التنافس المذموم بين هذه الجماعات، وخلال فترة زمنية قصير ة بلغ عدد أعضاء جبهة الإنقاذ مئات الألوف وهذا بحد ذاته مشكلة.

سارت الأمور بخلاف ما كانت تراه وتتوقعه الجماعات الإسلامية، فجبهة الإنقاذ أصبحت حديث الناس داخل الجزائر وخارجها، وفوزها في الانتخابات الولائية والبلدية مهد الطريق أمامها للفوز بالانتخابات التشريعية العامة [البرلمان]، ثم لتولي الحكم، وأصبح الناس متفقين على أن الجزائر قد تخلت عن الحكم العسكري الاستبدادي وارتضت الديمقراطية نظاماً، ولهذا فقد حصلت جماعات إسلاميتان على ترخيص بتأسيس حزبين: الجماعة الأولى سمته النهضة، والثانية سمته حركة المجتمع الإسلامي [حماس].

أما الجماعة الإسلامية، فقد غيّرت موقفها من جبهة الإنقاذ، وحَلَّ الودُّ محل التنافر والاختلاف، وقبيل اعتقال الشيخين: مدني وبلحاج، بمدة قصيرة أعلن

السعيد ومجموعة من إخوانه انضمامهم إلى جبهة الإنقاذ، وهذا الانضمام يعني حلّ جماعتهم السابقة، لأن قادة الإنقاذ لا يسمحون لمن ينضم إليهم بالعمل في جماعة أخرى. ومن جهة ثانية فإنه لم يصرح أحد من أعضاء هذه الجماعة باستمرار التنظيم السابق.

كثير من الجزائريين شككوا بسلامة مقاصد الجماعة الإسلامية، وكان مما قالوه: لقد دأبت هذه الجماعة على محاولات التسلل إلى الأنشطة العامة من أجل احتوائها وامتلاك ناصية قرارها، وكانوا بالأمس سبباً مهماً من أسباب فشل مشروع رابطة الدعوة الإسلامية لأن الجماعات الأخرى كانت تعرف قدرتهم الفائقة على استغلال الشيخ أحمد سحنون رئيس هذه الرابطة، وانتهوا إلى القول: إن انضمامهم إلى جبهة الإنقاذ ليس نابعاً من قناعة بخطها، وإنما يهدفون من وراء ذلك إلى الهيمنة عليها والوصول إلى قيادتها، وسيبقى تنظيمهم الخاص قائماً وإن تظاهروا بغير ذلك.. وكان هناك رأي آخر فيه كثير من حسن الظن، بالجماعة الإسلامية وقرارها المتخذ.

مرت الأحداث بسرعة مثيرة بعد اعتقال الشيخين: مدني وبلحاج، وإخوانهما من قادة الإنقاذ: فلقد برز اسم السعيد كناطق رسمي باسم جبهة الإنقاذ، ونجح عدد غير قليل من أعضاء الجماعة الإسلامية [البناء الحضاري] في الانتخابات التشريعية العامة، وما كانوا لينجحوا لولا انضمامهم للإنقاذ، ثم تولت [خلية الأزمة] قيادة الإنقاذ، وبعد قتل وتشريد بعض أعضاء هذه الخلية أصبح محمد

سعيد وإخوانه من أعضاء الجماعة الإسلامية هم قادة الإنقاذ، وكان معهم عبد الرزاق رجام رحمه الله، ولم تكن أفكاره متعارضة مع أفكارهم، ولذلك كان من السهل احتواؤه.

بدأ أهل الإنقاذ يشعرون بهيمنة الجماعة الإسلامية على قرارهم، ومن الأمثلة على ذلك أنه يتعذر على غير إخوان السعيد الاتصال بخلية الأزمة، وهؤلاء ينقلون لبقية الكوادر المسؤولة قرارات الخلية، فإذا قال قائل: ما تقولونه مخالف لما نعرفه عن قيادة الجبهة ومواقفها، أو إذا قال آخر: لقد سئل الشيخان عن المسألة الفلانية، فكان جوابهما يناقض ما نسمعه منكم: كان جوابهم في الحالين: خلية الأزمة هي المرجع الوحيد لجبهة الإنقاذ، والشيخان في السجن، وليس من حقهما إصدار قرارات.

ومن جهة أخرى فإن بعض المسؤولين في الإنقاذ، بدؤوا يشعرون أن هؤلاء الذين يشاركونهم المسؤولية من إخوان السعيد يقومون بدور مزدوج، فهم يحاولون استمالة بعض أعضاء الإنقاذ لتبقى الأصوات المعارضة لهم قليلة ومكبوتة، ومن جهة أخرى فهناك قيادة أخرى للجماعة الإسلامية تضم الذين في الإنقاذ منهم والذين لم ينضموا للإنقاذ ابتداء. وعن هذه القيادة تصدر جميع القرارات، وهي التي تتصل بخلية الأزمة كما قلت آنفاً، مع كل هذه الاعتبارات فإن بعض أهل الإنقاذ بالغوا في حسن الظن، وكانوا يقللون من شأن هذه المخاوف، ويخشون من تفجير خلاف داخل الجبهة.

ثم جاءت مفاجأة المفاجآت، عندما أعلن السعيد وإخوانه أعضاء خلية الأزمة انضمام الجبهة الإسلامية للإنقاذ إلى الجماعة الإسلامية المسلحة، واعتبار كل من الشيخين: مدني وبلحاج عضوين في مجلس شورى الجماعة المسلحة!!

كيف حدث هذا؟! كنت أظن للوهلة الأولى أن السعيد وقع في أسرهم فأجبروه على إصدار هذا القرار، لكن شريط الكاسيت الذي وزعته الجماعة المسلحة لم يدع مجالاً لمثل هذه الظنون، فقد بدا السعيد فيه -من خلال كلمته- متفائلاً ومتحمساً لهذا القرار. ومن ثم فإن إخوانه في الخارج أخذوا يشككون بمواقف المعارضين لأن ظروف الجزائر تتطلب اتخاذ هذه الخطوة، وأهل الجزائر أدرى بشعابها!!

هذا القرار الذي اتخذته خلية الأزمة لم يترك مجالاً لأحد داخل الإنقاذ لتبرير موقف السعيد وإخوانه لاعتبارات كثيرة:

منها: أن الإسلاميين في الجزائر يعلمون استحالة التقاء أفكار جماعة السعيد مع أفكار الجماعة الإسلامية المسلحة.

ومنها: أن خلية الأزمة كما يدل عليها اسمها ليس من حقها اتخاذ مثل هذا القرار.

ومنها: أنه لم يستشر الشيخين في هذه المسألة، ونُقل عنهما -فيما بعد- استنكارهما لما أحدثته خلية الأزمة.

كنت في مجلس يضم عدداً من المتعاطفين الجزائريين مع جبهة الإنقاذ عندما

بلغني هذا النبأ، وكان مما قلته للحضور: ستسمعون غداً نبأ مقتل السعيد –والله أعلم– كما سمعتم اليوم هذا النبأ، وعندما أذيع خبر مقتل الرجل رحمه الله ذكرني بعض الإخوة بما كنت قد قلته لهم، وكنت قد نسيته، ولم أكن مجازفاً فيما توقعته فالجماعة المسلحة تعرف حقيقة هذه الجماعة التي انضمت إليها، وستكون حذرة غاية الحذر في التعامل معها، ولن تسمح بتكرار ما فعلوه مع جبهة الإنقاذ، وسوف تتعامل معهم بلغة الحديد والنار لأنها لا تفهم غير هذه اللغة، وهكذا فقد يجني على المرء اجتهاده.

وأخيراً وصلت خناجر وسكاكين المجرمين المحترفين إلى رقاب الشيخ محمد سعيد ومجموعة من كبار إخوانه الذين منحوهم حق التحدث باسم الجماعات الإسلامية الموحدة، وسكتوا خلال الفترة التي أمضوها معهم عن المجازر المنكرة التي ارتكبوها بحق الدعاة وغيرهم، كما سكتوا عن فتاويهم الشاذة.

رحم الله الشيح محمد سعيد وإخوانه، فلقد كانت خسارة الجزائر بقتلهم كبيرة، وما من منصف يتجاهل دورهم الدعوي في المساجد والنوادي العامة والخاصة، ولا يستفيد من قتلهم إلا أعداء الإسلام ومع ذلك كله فقد كنت أنتظر أن يعيد إخوان السعيد بعد هذه المصيبة النظر بأساليبهم الملتوية، ويعترفون بعقم سياسة التسلل إلى الهيئات والجماعات الإسلامية بقصد احتوائها، ولكنهم من المؤسف هربوا إلى الإمام [كما يقول السياسيون]، وكتب بعضهم يقول: إن المشكلة كلها في قيادة زيتوني، وليست في الجماعة المسلحة، وإذا تغيرت هذه

القيادة فسوف تستقيم أمور الجماعة.

يا قوم: إن المشكلة في القيادة والقاعدة والمنهج، والإدارة، وها هو زيتوني قد رحل فهل تغيرت الجماعة؟!

إن الأخبار المتواترة تشير إلى أن الجرائم قد تزايدت كماً وكيفاً، ولعل خليفته أراد أن يترحم الناس على زيتوني مذكراً الناس بما يُروى عن الحجاج وابنه من بعده.

إن المعلومات المتوفرة لدي تمكنني من قول الآتي:

هناك فئة كبيرة من الجماعة الإسلامية كانت قد انضمت إلى جبهة الإنقاذ، وأصبحت تتحدث باسمها عن اختيار الشعب، وعن وثيقة روما، ونشط هؤلاء في إقامة اتصالات مع الهيئات والمؤسسات الغربية الرسمية منها وغير الرسمية.

وقسم من الفئة السابقة اتخذت ما سمي بقرار الوحدة مع الجماعة المسلحة، وراحت تهاجم الديمقراطية والانتخابات البرلمانية، وادعت أنها كانت مخطئة في مسيرتها السابقة مع الإنقاذ، وعندما ارتكبت الجماعة المسلحة المجزرة المعروفة أصدر إخوان السعيد بيانات يتحدثون فيها باسم مجموعات مسلحة أخرى تندد بالجماعة المسلحة كما تندد بجيش الإنقاذ وتدعو إلى بديل جديد!!

هناك فئة من الجماعة الإسلامية لها علاقات ود وتعاون مع الرافضة الإيرانيين والعرب، وليس لهم مثل هذه العلاقات أو أقل منها مع الدعاة والجماعات السلفية.

وهناك أفراد من الجماعة الإسلامية يقدمون أنفسهم للعلماء والدعاة في الجزيرة العربية على أنهم ممثلو الاتجاه السلفي في جبهة الإنقاذ الجزائرية.

وجدير بالذكر أن هذه الفئات كلها تعمل في إطار الجماعة الإسلامية، وتتلقى أوامرها من قيادة واحدة، وقد تقوم الفئة الواحدة بعدة أدوار.

إنني أنصح هؤلاء الإخوة بالاستفادة من أخطائهم، وتقويم تجاربهم، واحترام عقول غيرهم، والوضوح والصراحة والصدق في تعاملهم مع الدعاة والجماعات، والحذر كل الحذر من الكيد والمراوغة، فللناس عقول، وعندهم ذكاء.

المبحث السادس

قيمة ما يصدر عنهم من فتاوى

الذين تبوؤوا مراكز الإفتاء في تاريخنا الإسلامي علماء أعلام طغت شهرة كثير منهم على شهرة خلفاء عصورهم، وكان من أشهرهم: عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وعائشة أم المؤمنين، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر.. من الصحابة. وسعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وعطاء بن أبي رباح.. من التابعين.

ثم جاء دور الأئمة الأربعة: أبو حنيفة النعمان، ومالك، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وما من حقبة من حقب تاريخنا إلا ولها مفتون، حفظت لها كتب الرجال سير حياتهم، وأهم الميزات التي امتازوا بها، وما قاله المحبون في الثناء عليهم، أو ما قاله بعض الأقران في نقدهم وتجريحهم.

ليس بين هؤلاء المفتين مجاهيل نكرات، ويكفي أن يُذكر لنا اسم من الأسماء، حتى نستخرج من كتب الرجال ما يكفي لنتبيّن هل كان من أهل السنة والجماعة أم من أهل البدع والضلالة؟!

ومن جهة أخرى فهناك شروط يجب أن تتوفر في المفتي، ونكتفي ها هنا بذكر ما يتصل منها بموضوع بحثنا.

١- العدالة: يقول الإمام أحمد بن حنبل: (أما اشتراط إسلامه وتكليفه وعدالته فبالإجماع، لأنه يخبر عن الله تعالى بحكمه فاعتبر إسلامه وعدالته لتحصل الثقة بقوله، ويبنى عليه كالشهادة والرواية)، وقال أيضاً: (العدل من استمر على فعل الواجب والمندوب والصدق، وترك الحرام والمكروه والكذب، مع حفظ مروءته ومجانبة الريب والتهم بجلب نفع ودفع ضرر.. وبالجملة كل ما يأثم بفعله مرة يفسق بفعله ثلاثاً، وإن كان كبيرة فمرة، وكل ما أسقط المروءة أسقط العدالة إذا كثر وإن لم يكثر لم يأثم به)[١].

٢- الحلم والوقار والسكينة: قال ابن قيم الجوزية: (الحلم زينة العلم وبهاؤه وجماله، وضده الطيش والعجلة والحدة والتسرع وعدم الثبات؛ فالحليم لا تستفزه البَدَوات[٢]، ولا يستخفه الذين لا يعلمون، ولا يقلقه أهل الطيش والخفة والجهل، بل هو وقور ثابت ذو أناة يملك نفسه عند ورود أوائل الأمور عليه ولا تملكه أوائلها، وملاحظته للعواقب تمنعه من أن تستخفه دواعي الغضب والشهوة[٣].

٣- العلم: قال الإمام أحمد بن حنبل: (ينبغي للرجل إذا حمل نفسه على الفتيا أن يكون عالماً بوجوه القرآن، عالماً بالأسانيد الصحيحة، عالماً بالسنن،

---

(١) صفة الفتوى والمفتي والمستفتي، للإمام أحمد بن حمدان الحراني، المكتب الإسلامي، ص(١٣).

(٢) البدوات: الآراء المختلفة.

(٣) أعلام الموقعين، لابن القيم (٤/ ٢٠٠)، مكتبة الكليات الأزهرية.

وإنما جاء خلاف من خالف لقلة معرفتهم بما جاء عن النبي ﷺ وقلة معرفتهم بصحيحها من سقيمها)[١].

٤- التجرد: قال ابن القيم: (لا يجوز للمفتي أن يعمل بما يشاء من الأقوال والوجوه من غير نظر في الترجيح.. ولا يجوز العمل والإفتاء في دين الله بالتشهي والتخير وموافقة الغرض؛ فيطلب القول الذي يوافق غرضه وغرض من يحابيه فيعمل به، ويفتي به، ويحكم به، ويحكم على عدوه ويفتيه بضده، وهذا من أفسق الفسوق وأكبر الكبائر، والله المستعان)[٢].

٥- الزهد في الفتيا: كان أئمة القرون المفضلة يتهيبون من الفتيا، قال الإمام مالك: (من فقه العالم أن يقول: لا أعلم)، وقال الشعبي: (لا أدري نصف العلم)، وكان ابن المسيب لا يكاد يفتي إلا قال: (اللهم سلمني وسلم مني) [٣].

لنحاول فيما يلي تطبيق هذه الشروط على الغلاة الذين يخوضون في أخطر المسائل الشرعية وأدقها، ويفتون فيها:

١- قلنا: إن المفتين معروفون في جميع حقب تاريخنا الإسلامي، وقد حفظت كتب الرجال كل ما يتصل بهم من جرح وتعديل، أما المفتون من حزب الغلاة فهم نكرات مجهولون، ويكنون بأسماء أبنائهم، ولا ندري كيف تكون

---

(١) أعلام الموقعين (١/ ٤٤)، مصدر سابق.

(٢) أعلام الموقعين (٤/ ٢١١)، مصدر سابق.

(٣) أعلام الموقعين (٢/ ١٨٦)، مصدر سابق.

الشهرة للابن مع أنه قد يكون طفلاً، وقد لا يكون له وجود ابتداء، ولا تكون للأب؟ وقد يغيّرون الكنية إذا انتقلوا من بلد إلى بلد آخر؟!

وبعضهم قد يعرف باسم غير اسمه الصحيح متذرعاً بضرورات أمنية، مع أن الجهات الأمنية التي يتذرع بها تعرف عنه ما لا يعرفه أقرب الناس إليه.. ومن ذلك أنها تعرف اسمه الصحيح، والكنى التي يستخدمها، وتعرف الكثير عن تاريخه وتاريخ جماعته، وهذه حقيقة ثابتة لا مجال لإنكارها، أو التقليل من شأنها.

ترى هل من المعقول أن يكون هذا المفتي معروفاً عند أجهزة الأمن، ومجهولاً عند الذين يريد منهم أن يستمعوا لفتاويه ويأخذوا بها؟! ومن جهة أخرى فهم يفتون في قضايا غاية في الأهمية والدقة، مثل الخروج بقوة السلاح، وقتل الأشخاص الذين يحكمون عليهم بالردة وغير ذلك، وقد يتبيّن فيما بعد أن أحد هؤلاء المفتين رجل أمن زرعه الطغاة داخل الصف الإسلامي، والشواهد على ذلك كثيرة!!

٢- كما أن العلماء الذين يتبوؤون مراكز الإفتاء معروفون في جميع حقب التاريخ، فهم كذلك معروفون في هذا العصر، ويستطيع طالب العلم الذي يتابع ما يصدر من كتب ومحاضرات أن يذكر أبرز أسماء هؤلاء العلماء الذين يشهد لهم علمهم وفضلهم، ويشهد لهم الثقات الذين يحيطون بهم ويعرفونهم حق المعرفة.. ويحاول إعلام الطغاة إبراز نوعية من الذين يلبسون العمائم والقفاطين ليكونوا البديل الذي يفتي للناس، فما يزيد ذلك الناس إلا ازدراء لهم ونفوراً منهم، وذلك

لأنهم يرون ويسمعون ألواناً شتى من نفاقهم وتزلفهم لأولياء أمورهم.

ليس بين العلماء الثقات أحد من الغلاة، لأن هؤلاء الغلاة قد شغلوا أنفسهم بقضية الردة والخروج، وليس عندهم الوقت الكافي لدراسة علوم القرآن، والتعمق في علوم الحديث والفقه، ومن جهة أخرى فغير وارد عندهم التتلمذ على أيدي الفضلاء من العلماء لأنهم -عندهم- منافقون وعلماء سلطة وأخذ العلم عنهم تزكية لهم!

٣- كل من يعرف القوم ويعاشرهم يعلم أنهم أهل طيش وعجلة وحِدّة ونزق، ويعلم أيضاً أن مواقفهم متطورة متقلبة لا تعرف الثبات ولا الاستقرار، ومثل هذه الصفات تتعارض مع الحلم والسكينة والوقار، وهي - كما مر معنا - من الشروط التي يجب أن تتوفر في المفتي، ومن حُرمها فقد بطلت فتواه لأن الحدة سوف تتملكه إذا نظر في قضية من القضايا، ولن يستطيع أمامها الحياد والتجرد في حكمه.

٤- الخروج[1] محور نشاط حزب الغلاة، والأساس الذي يعتمدون عليه في تحديد موقفهم من الآخرين، فمن قبِل بدعتهم وقال بقولهم، فقد جاوز القنطرة عندهم، وأصبح من أهل الفرقة الناجية، ومن خالفهم فقد هلك وأهلك، ولو كان من العلماء العاملين الذين يصدعون بكلمة الحق غير هيابين ولا وجلين، ولا

(١) كلما مرّ ذكر كلمة الخروج فيما أكتبه عن الغلاة، فإنما أعني الخروج البدعي، وليس الخروج الشرعي إذا توفرت شروطه.

يمنعهم المحن التي ينزلها الطغاة بهم من إنكار المنكر، والتمسك بطريق الذين أنعم الله عليهم من الصحابة والتابعين ومن نحا نحوهم.

إن صاحب هذه البدعة لا تقبل فتواه لأنه سيفتي بالتشهي والتخير وموافقة الغرض، وسوف يختار من الأدلة ما وافق هواه، ويتحايل في رد ما يخالفه، (وهذا حرام باتفاق الأمة)[١].

٥- إذا كان العلم شرط من شروط من يتولى الإفتاء، فليس بين أهل الغلو من يستحق أن يقال عنه بأنه عالم، وأمثال هؤلاء الجهلة لا يجوز لهم الإفتاء حتى ولو كان ما يقولونه صحيحاً، قال أحمد بن حنبل: (تحرم الفتوى على الجاهل بصواب الجواب، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ [النحل: ١١٦]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣]، وقال ﷺ: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من صدور الرجال، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، فإذا لم يبقَ عالم اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»[٢].

الرؤساء الجهلة، والمفتون الجهلة سمة من سمات هذا العصر، وهؤلاء لا

---

(١) هذه عبارة ابن قيم الجوزية، انظر أعلام الموقعين (٤/ ٢١١).

(٢) أخرجه الشيخان.

يتورعون عن الإفتاء في كل مسألة تعرض عليهم، وهذا الذي كان يتجنبه سلف هذه الأمة، ولا يجدون أي غضاضة في قولهم، لا أدري.. لا أعلم، (سئل الشعبي عن مسألة، فقال: لا أدري، فقيل له، ألا تستحي من قولك: لا أدري وأنت فقيه أهل العراق؟ فقال: لكن الملائكة لم تستحِ حين قالوا: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ [1]، وقال جلَّ من قائل لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦].

وقال ابن القيم: (وصح عن ابن مسعود وابن عباس: من أفتى الناس بكل ما يسألون عنه فهو مجنون)[2].

مجنون (!!) إذا أفتى بكل ما يسألونه عنه، فكيف إذا كان مع ذلك يعتقد أن ما يفتي به هو الحكم الشرعي القطعي الذي لا يقبل أية مراجعة أو اعتراض.. ويعتقد أيضاً أن القول المخالف باطل، والقائل به متَّهم في دينه وخلقه؟!

ومن تناقضات القوم العجيبة أنهم يتحدثون باسم السلف، وهم وحدهم الذين يفهمون أقوال السلف ويستدلون بها، وما من فتوى لهم إلا وتتضمن شواهد من القرآن والسنة، ثم من أقوال السلف، وتبقى المشكلة عندهم في إسقاط هذه الأدلة على واقعة توافق بدعتهم وتخالف مدلولات هذه الأدلة.

---

(١) أعلام الموقعين (٤/ ٢١٨).

(٢) أعلام الموقعين (٢/ ١٨٥).

إن السلف الذين يكثرون من الاستدلال بأقوالهم كانوا يرون أن أقوالهم صواب يحتمل الخطأ، وأقوال مخالفيهم خطأ يحتمل الصواب، ومن مآثرهم الحميدة أن المفتي كان يتراجع عن خطئه عندما يتبين له ذلك، بل كان يستأجر منادياً يجوب شوارع المدينة وأحياءها ليخبر الناس بأن فلاناً قد استفتي يوم كذا وكذا فأخطأ فيما قاله، ثم يطالب المُستفتي بالعودة إليه ليصحح له الفتوى، وما كانوا يجترئون على قول: أحل الله كذا وحرَّم كذا: (وقد نهى النبي ﷺ في الحديث الصحيح أميره بريدة أن ينزل عدوه إذا حاصرهم على حكم الله، وقال: (فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا، ولكن أنزلهم على حكمك وحكم أصحابك). فتأمل كيف فرق بين حكم الله وحكم الأمير المجتهد، ونهى أن يسمي حكم المجتهدين حكم الله. ومن هذا لما كتب الكاتب بين يدي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ حكماً حكم به فقال: هذا ما أرى الله أمير المؤمنين عمر، فقال: لا تقل هكذا، ولكن قال: هذا ما رأى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب).

إن سلف أهل السنة والجماعة قد حكموا على سلف هؤلاء الغلاة بالابتداع والتنطع في الدين.. هذا وإني لو اكتفيت فيما أكتبه عن حزب الغلاة بهذه الفقرة (أعني عدم صلاحيتهم للإفتاء وإصدار الأحكام الشرعية)، لكان ذلك كافياً في بيان انحرافهم، وكشف بطلان أقوالهم وفتاويهم، ولكني سأوضح في فقرات أخر مزيداً من خطورة بدعة القوم من أجل أن تكتمل الصورة أمام القارئ، وأكون بذلك قد دحضت أهم الشبهات التي يكثرون من إثارتها.

المبحث السابع

الخروج على أئمة الجور

تحت ستار سلّ السيوف في الأمر بالمعروف خرج سفهاء: مصر، والبصرة، والكوفة، على الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه في سنة خمس وثلاثين من الهجرة، ولم يكن الخارجون من أهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما أن خروجهم يستحيل أن يأتي مصادفة بين أجلاف هذه الأمصار المتباعدة، ولا بد أن يكون قد دُبِّر بليل.

حاول عثمان وعلي وطلحة والزبير الوصول إلى حل مع الخارجين، ولكن هذه المحاولات كلها وصلت إلى طريق مسدود أمام إصرارهم على عزل الخليفة، وفرضهم الحصار على منزله، وفي هذا الجو العصيب لزم الصحابة منازلهم، واقتحم المجرمون الأشرار منزل أمير المؤمنين، فقتلوه وهو مكب على كتاب الله يتلوه ويتدبره، ثم نهبوا ما وجدوه في منزله، وفي بيت مال المسلمين، وتمت لهم السيطرة على مدينة رسول الله ﷺ بعد أن نشروا الرعب والذعر فيها.

هذه السيوف التي سلت باسم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم تغمد فيما بعد، فلم يلبث معاوية بن أبي سفيان وبنو أمية أن خرجوا على الخليفة الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين مطالبين بدم عثمان، ثم خرج الحسين بن علي على يزيد بن معاوية، وخرج عبد الله بن الزبير على عبد الملك بن

مروان، وكان من أهم المعارك الدموية التي كان المسلم فيها يقاتل أخاه المسلم: صفين، والجمل، والحرة التي أعقبها استباحة المدينة المنورة، ومن ثم فقد هدم الطاغية الحجاج الكعبة المشرفة التي رماها بالمنجنيق، كما كان من أشهر الصحابة الذين سقطوا في هذه المعارك أو على أيدي الخوارج: علي، وطلحة، والزبير، وعمار، والحسين، وعبد الله بن الزبير. أشار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إلى هذه الفتن فقال:

(وكل من خرج على إمام ذي سلطان إلا كان ما تولد على فعله من الشر أعظم مما تولد من الخير، كالذين خرجوا على يزيد في المدينة، وكابن الأشعث الذي خرج على عبد الملك في العراق، وكابن المهلب الذي خرج على أبيه بخراسان، وكأبي مسلم صاحب الدعوة الذي خرج عليهم بخراسان أيضاً، وكالذين خرجوا على المنصور بالمدينة والبصرة.. وغاية هؤلاء إما أن يُغلَبوا وإما أن يَغْلِبوا ثم يزول ملكهم فلا يكون لهم عاقبة. فإن عبد الله بن علي [العباسي] وأبا مسلم قتلا خلقاً كثيراً، وكلاهما قتله أبو جعفر المنصور، وأما أهل الحرة وابن الأشعث وابن المهلب فهزموا وهزم أصحابهم، فلا أقاموا ديناً ولا أبقوا دنيا، والله تعالى لا يأمر بأمر لا يحصل به صلاح الدين وصلاح الدنيا. وإن كان فاعل ذلك من عباد الله المتقين ومن أهل الجنة فليسوا أفضل من علي وطلحة والزبير وعائشة وغيرهم، ومع هذا لم يحمدوا على ما فعلوه من القتال، وهم أعظم قدراً عند الله وأحسن نية من غيرهم. وكذلك أهل الحرَّة كان فيهم من أهل

العلم والدين خلق، وكذلك أصحاب ابن الأشعث كان فيهم خلق من أهل العلم والدين والله يغفر لهم كلهم)[١].

درس علماؤنا في العهود التي تلت عصر الصحابة والتابعين مسألة الخروج على أئمة الجور، وعندما استعرضوا اقتتال الصحابة في صفين والجمل قالوا: كانوا أئمة علماء، اجتهدوا في طلب الحق، فالمصيب منهم مأجور، والمخطئ معذور، وليس لنا اتباع أحد منهم مع اختلافهم إلا إذا تبين لنا وجه الحق من ذلك بدليل من كتاب أو سنة صحيحة، أما ما اجتمعوا عليه فنتبعه[٢]. وكان من نتائج هذه الدراسة ما يلي:

- قال الخلال: (أخبرني محمد بن أبي هارون ومحمد بن جعفر أن أبا الحارث حدثهم قال: سألت أبا عبد الله في أمير كان حدثهم ببغداد، وهمَّ قوم بالخروج معه، فقلت: يا أبا عبد الله ما تقول في الخروج مع هؤلاء القوم؟! فأنكر ذلك عليهم وجعل يقول: سبحان الله، الدماء الدماء، لا أرى ذلك ولا أمرته، الصبرُ على ما نحن فيه خير من الفتنة تسفك فيها الدماء. قلت: والناس اليوم في فتنة يا أبا عبد الله، قال: وإن كان. فإنما هي فتنة خاصة، فإذا وقع السيف عمت الفتنة وانقطعت السبل، الصبر على هذا ويسلم لك دينك خير لك)[٣].

---

(١) المنتقى من منهاج الاعتدال، وهو مختصر منهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية، وقد اختصره الذهبي، ص(٢٨٥).

(٢) انظر: الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة، لمؤلفه: عبد الله بن عمر الدميجي، ص(٥٤٢).

(٣) المسند من مسائل الإمام أحمد [عن كتاب الإمامة العظمى، ص(٥٣٨)] مصدر سابق.

كان الإمام أحمد آخر الأئمة الأربعة وقد رأى وسمع ما حلَّ بسلفه من العلماء، وهو نفسه قد ابتُلي عندما أظهر المأمون فتنة خلق القرآن، فصبر صبراً تكاد لا تحتمله الجبال الشم، واستمرت محنته بعد هلاك المأمون، وانتقال الحكم إلى المعتصم، ثم إلى الواثق من بعده، ومع ذلك كله لم يفكر بالخروج ولا دعا إليه.. وكان رحمه الله وهو يفرق بين الفتنة الخاصة والعامة كأنه يتحدث عن واقع عصرنا، ويبدو أن طبيعة الفتن في القديم والحديث متشابهة.

وقال الإمام النووي رحمه الله في شرح حديث عبادة بن الصامت: «إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان»:

(لا تنازعوا ولاة الأمور في ولايتهم ولا تعترضوا عليهم، إلا أن تروا منهم منكراً محققاً تعلمونه من قواعد الإسلام، فإذا رأيتم ذلك فأنكروه عليهم، وقولوا بالحق حيث ما كنتم، وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين وإن كانوا فسقة ظالمين، وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ما ذكرته، وأجمع أهل السنة أنه لا ينعزل السلطان بالفسق، وأما الوجه المذكور في كتب الفقه لبعض أصحابنا أنه ينعزل وحُكي عن المعتزلة أيضاً فغلط من قائله مخالف للإجماع. قال العلماء وسبب عدم انعزاله وتحريم الخروج عليه ما يترتب على ذلك من الفتن وإراقة الدماء وفساد ذات البين فتكون المفسدة في عزله أكثر منها في بقائه)[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد حديث له عن الفتن التي وقعت في الصدر

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (١٢/ ٢٢٩).

الأول: (ولهذا استقر أمر أهل السنة على ترك القتال في الفتنة للأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ ، وصاروا يذكرون هذا في عقائدهم، ويأمرون بالصبر على جور الأئمة وترك قتالهم، وإن كان قد قاتلهم في الفتنة خلق كثير من أهل العلم والدين)[١].

وترجم الحافظ ابن حجر العسقلاني للحسن بن صالح الفقيه، ثم قال معلقاً على ما نسب إليه من أنه كان يرى السيف: (وهذا مذهب للسلف قديم، لكن استقر الأمر على ترك ذلك لما رأوه قد أفضى إلى ما هو أشد منه)[٢].

أما قول الإمام النووي: (وأجمع أهل السنة أنه لا ينعزل السلطان بالفسق) ففيه نظر، ومن ذلك ما نقله ابن التين عن الداوودي قال: (الذي عليه العلماء في أمير الجور أنه إن قُدِرَ على خلعه بغير فتنة ولا ظلم وجب، وإلا فالواجب الصبر، وعن بعضهم: لا يجوز عقد الولاية لفاسق ابتداءً، فإن أحدث جوراً بعد أن كان عدلاً فاختلفوا في جواز الخروج عليه، والصحيح المنع إلا أن يكفر فيجب الخروج عليه[٣]، وللقاضي عياض قول شبيه بهذا القول. والله أعلم.

---

(١) منهاج الاعتدال، ص(٢٨٧)

(٢) تهذيب التهذيب (٢/ ٢٨٨) وقوله: إنه كان يرى السيف أي كان يرى الخروج على أئمة الجور..

(٣) فتح الباري (٣/ ١١٤)، البابي الحلبي.